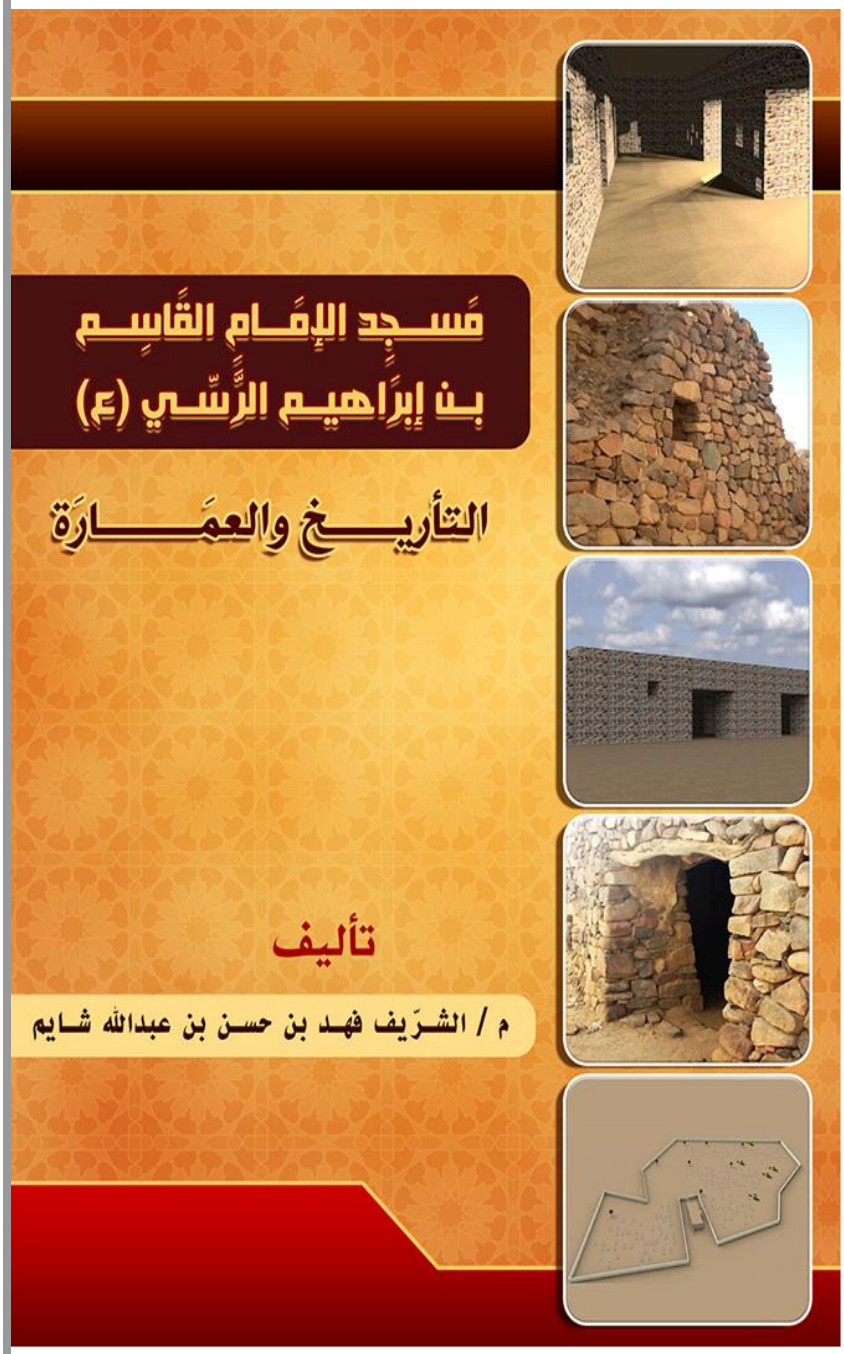

مَسجِد الإمَام القَاسِم
بن إبرَاهيم الرَّسّي (ع)
التأريخ والعمَارَة
تأليف
م / الشرّيف فهد بن حسن بن عبدالله شايم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مَسجِد الإمَامِ القَاسِم بن إبرَاهيم الرَّسّي (ع) ، التأريخ والعمَارَة

الحمدُ لله ربّ العَالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبيَاء والمُرسلين ، سيّدنا محمّد النّبي الأمين ، وعلى أهل بيتِه الطّاهرين ، سُفن النّجا، وعلامَات الاهتدَا ، ورضوانُ الله على الصّحابة المُتّقين ، والتّابعين لهُم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعد :

فإنّ الحضَارة الإسلاميّة القَديمَة ذاتُ أصلٍ يجعلُنا نعودُ بالذّاكرة لنتأمّل أجملَ المَعاني والمواقِف التي كان يعيشُها السّلف ، من صَفاء الفِكرَة ، وسلامَة الفطرَة ، والقُرب من الله تعالى ، لا سيّما إذا كانَت تلكَ الحضَارة من روح الإسلام الذي أنقذنَا به الله تعالى من الجَهل والظّلمَات ، فكيفَ لو كانَت تلكَ الحضارَة هي مساجدٌ أذنَ الله أن تُرفَع وأن يُذكَر فيها اسمُه ، فكيفَ لو كَان أصحابُ تلكَ الحضارَة هُم أشرفُ الخلقِ بعد أشرفِهم ، أئمّة العترَة سَادات بني الحسَن والحُسين مَنْ جَاءت الأخبَار والسّنن بتفضيلِهم وتشريفِهم واتّباعهم سُفن نَجا ، وعلامَات اهتدَا ، فكيفَ أيضاً لو كانَت جُدران تلك الحضَارات تتكلّم بحقبَة تأريخيّة مُضيئةٍ ، ومؤلِمَة ، عاشَ مع

أولئكَ الرّجال همّاً للإصلاح في هذه الأمّة ، أمراً بالمَعروف ونهياً عن المُنكَر ، ومقارعَةً للظّالمين ، واعتزالاً عن الظّلمَة ، كانَت بلاد الرّس من نواحي المدينَة النبويّة المنوّرة واحدَةٌ من تلكَ الحضارات التي يفوح شذَاها برائحَة الأشراف الرّسيين ذريّة الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي صَلوات الله عليهم ورضوانُه ، رائحَة العزّة والكرامَة التي حُملَت على النّعوش إلى جوار سلفهِم الصّالح من سَادات بني الحسَن والحُسين ، فكانَ أقلّ واجبٍ علينَا هُو أن نُفرِدَ تلكَ الحضَارات ، وذلك التأريخ ، بمزيدِ نظَر ودراسَة وتدبّر وإطالَة فكرَة ، فالمَقام أكبَر من استعراضِ صورِ أحجَارٍ بُنيَت ، بطريقَة هندسيّة لائمَت ذلكَ الزّمان ، المَقامُ مَقام استحضَار هِممٍ وإيمانٍ رفضَ الدّنيا والمَلاهي وزُخرف الدّنيا ليستوطِنَ الوِديان والجبَال ، في الوقت الذي كانَت فيه الدّنيا قد فتحَت ذراعيهَا لتلكَ الهِمم الحسنيّة ، ليسَ هذا وفقَط ، بل كانَ يُصاحبُه إيجابيّة بالمُبالاة والاهتمَام لأمر الأمّة ومُشاركتهَا ويلاتهَا من الظّلم ببذل النّفس والنّفيس في سبيل إحياء أحكام الكِتاب والسنّة المحمديّة ، بالأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكَر ، فما كانَ المُقام في تلكَ البلاد الرسيّة إلاّ بعد أن بلغَت الأعمَار مبلغَ اليّأس من ذلك التّقويم لما اعوجّ من أمرِ الأمّة ، ولا يأسَ من رَوح الله ، فتلكَ الدّماء ، لا تفترُ تُربّي أجيالاً تُحيي شبابَهم وعزيمَة آبائهِم وأجدادهِم في الأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكَر . نعم! المقام

مقام تذكيرٍ للخَلف الرّسي ، بل الخَلف الفاطميّ الحسنيّ والحُسينيّ بفعل السّلف ، واعتقادِ السّلف ، فلَم يكُن الإمَام القاسم بن إبراهيم إلاّ لُحمَة من إخوته وبني عُمومته من بني الحسَن والحُسين ، كيفَ لا وهُو القَائل صَلوات الله عَليه : ((أدركتُ مشيخَة ولد الحسن والحُسين ومَا بينَهم اختلاف)) ، نحنُ بهذا لا نَدعو إلى التّقليد الأعمَى للآبَاء والمشَائخ ، نحنُ ندعو إلى التمسّك بالعترَة الفاطميّة التي أوجبَ الله ورسولُه التمسّكَ بهَا في حديث الثّقلين والسّفينة والنّجوم وأمثالَها ، نحنُ نَدعو إلى أن نحتذي بفعلِ الصّالحين من أبنَاء يَعقوب الذين قالَ الله فيهِم : ((أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) ، ندعُو إلى التمسّك بمَن كانوا سَادات الأمّة عِلماً وعَمَلاً وتحرّياً وصَلاحاً، فإن كانَ للأمّة أن تفخَر بعُلمَاء مذاهبهَا ، فإنّ للفاطميين من السّادة والأشرَاف أن يفتخُروا ويُفاخروا بالعُلمَاء والأئمّة من سلفهِم ، وليسَت هذه دعوةٌ للمُزايدَة بالمُراهقَة ، وإنّما هي دعوةٌ للعُقلاء للتأمّل والتدبّر واحترام الاختلاف بين المُتمذهبين إن لم يكُن من اجتماعٍ على حكم الكتاب والسنّة وإجماع العترَة ، لا نُطيل في هذه المقدّمة ، وندخلُ إلى المقصودِ من هذا المَبحث ، فنتكلّم عليه من ثلاثَة فُصول ، **الفصلُ الأوّل** : ترجمَة الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع) ،

والفصلُ الثّاني : الكلامُ على معماريّة مَسجد الإمام القاسم بن إبراهيم وتأريخه . **والفصلُ الثّالث** : في الكلامِ على مقبرِة الأشراف الرّسيين ، وهذا أوان الشّروع مُتكّلين على الله تعالى .

الفصلُ الأوّل : ترجمَة الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع)

نسبُه الشّريف :

هُو الإمَام القاسم بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل (الدّيباج) بن إبراهيم (الغَمْر) بن الحسَن (الرّضا) بن الحسن (السّبط) بن علي (الوصيّ) بن أبي طالب (ناصر رسول ربّ العالمَين) ، وابن فاطمَة (الزّهراء البتول) ، ابن رسول الله محمّد صلوات الله عليهم أجمعين .

مولدُه :

وُلدَ الإمَام القاسم بن إبراهيم صَلوات الله عَليه سنَة (١٦٩هـ) ، وهي السّنة التي استشهِدَ فيها الإمَام الحُسين بن علي بن الحسَن بن الحسَن بن الحسَن بن الحسَن بن علي بن أبي طالب ، وهُو الملّقب بالفَخّي نسبةً إلى أرض فخّ والتي تبعد أميالاً قليلة عن مكّة المكرّمة .

كنيتُه :

يُكنّى الإمَام القاسم بن إبراهيم بأبي محمّد ، وهو ابنه الأكبَر الإمَام محمّد بن القاسم الرّسي ، قالَ الإمَام النّاصر الأطروش الحسن بن عَلي الحسينيّ (ع) :

((رَأيت كتاباً لَه عليه السلام إلى عبد اللهّ بن الحسن الكلاّري ، وكَان عنوانه: يُدفع إن شاء اللهّ إلى أبي محمّد عبد اللهّ بن الحسن حفظه اللهّ مِن أبي الحسن. قَال: عَبد اللهّ بن الحسن وبهذا يُكنّيني عَلى كُنيته)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، قلتُ أيّ يُكنّي بأبي محمّد ، وقولُه : ((من أبي الحسَن)) ، فكأنّها كنيَة الرّسولُ الحامِل للكِتاب إلى عبدالله بن الحسن الكلاّري ، والله أعلَم .

لقبُه :

كانَ يُلقّب الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) ، بـ (نجم آل الرّسول) ، و ، (تُرجمان الدّين) ، (تُرجمان آل الرّسول) .

والدهُ (ع) :

هُو إبراهيم بن إسماعيل ، والملقّب بطباطبا ، ومعناه سيّد السّادات ، وقد كان أحد المُبايعين للإمَام الحُسين بن عَلي الفخّي ، والمُشاركين معه في القَتال في يوم التّروية الثّامن من شهر ذي الحجّة من سنَة (١٦٩هـ) ، وممن أثخَنته الجِراح ، وبعد استشهادِ أهله خرجَ ويحيى بن عبدالله بن الحسن وجماعَة من أهل بيته عن طريق البَحر إلى الحبشَة ، وقد عاشَ مُطرّداً مُشرّداً من عيون هارون العبّاسي ، وقَد روى عنه ابنه الإمَام القاسم (ع) ، ومن ذلكَ ما يَرويه الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام عَن أبيه قال: قَال لي أبي:

((عُوتب الحسين بن علي الفخي فيما يُعطي وكان من أسخَى الناس العرب والعَجم، فقال: مَا أظنّ أن لي فِيما أعُطي أجرا وذلك أن الله تعالى يقول: ((لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)) ، ووالله ما هِي عندي وهذا الحصَى إلاّ بمنزلَة، يَعني الأموال)) [تيسير المطالب في أمالي أبي طَالب] ، وتُروى للإمام بن القاسم (ع) قصّة في تعرّفه على والدِه ، حيث أنّ والدَه أخِذ وسُجن في سجن هارون العبّاسي في حدود سنَة (١٧٠هـ) ، وعُمر ابنه القاسم آنذَاك أشهُرٌ أو سنَة ، فغابَ عن والدُه حتّى أصبح القَاسِم فتىً في سنّ البُلوغ أصغَر أو أكبَر ، وأخبرتهُ أمّه هند عن علامَةٍ في صدرِ والدِه فتعرّف عَليه .

والدتُه (ع) :

وأمّه هي هِند بنت عَبد الملك بن سَهل بن مسلم بن عَبد الرحمن بن عَمرو بن سُهيل بن عبد شَمس بن عبد ود بن نضر بن مَالك بن خَسِل بن عَامر بن لؤي .

أولادُه :

محمد، والحسَن، والحُسين، وسُليمان، وعيسى، ومُوسى، وعَلي، وإبرَاهيم، ويَعقوب، وداود، وإسماعيل، ويحيى.

صفتُه (ع) :

قالَ الإمَام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحُسين الهارونيّ (ع) : ((كَان عَليه السلام تَام الخَلْق، أبيضَ اللّون، كثَّ اللِّحية، وكَانت لِحيَتُه كَالقُطنة لشدَّة البَيَاض)). [الإفادَة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، وقالَ الإمام النّاصر الأطروش (ع) : ((وَرأيتُ خَطّه دَاخل الكِتاب وهُو َخط وَسط حَسَنٌ بَيِّن)) ، قلتُ : والكتاب المقصود هُو كتابُ الإمام القاسم إلى أبي محمّد عبدالله بن الحسن الكلاّري .

نشأة الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع) :

نشأَ الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي في أسرَة علمٍ فاطميّة حسنيّة ، نشأَ في بيئةٍ لا زالَت أحداث معركَة فخّ حاضرةً في أذهانِها ، وكيفَ ينسَى بنو فاطمَة فخّ ؟! ، وقد سقطَ فيهَا الأعلام من العترَة مُضرّجين بدمائهم شُهدَاء سُعدَاء لأجل ذلكَ المبدأ الذي هُو روحُ القُرآن وروحُ السنّة ، نعم! وعلى المستوى الفكريّ في ذلكَ الزّمان الذي عاشَ فيه الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) فإنّ كتاب الله تعالى وسنّة رسولِه أصبحَ قولُ أهل البيت واعتقادُهم فيهما غريباً بين الأمّة ، لا يُلقونَ لأقوالِهم بالاً ، ولا يُقبلون على أعلامِهم ، والإعلامُ أبعدُ ما يكونُ عنهُم ، بل إنّه (الإعلام) يُشَوّهُ سَادات بني الحسَن والحُسين

بين الأمّة يقولون في هذا ليّنٌ وفي ذاك مقدوحٌ فِيه والآخَر يُقلّبُ كفّيه يشكّ في أعلامهِم ، فأقبلَ الإمَام القاسم (ع) على دراسَة عُلوم أهل بيِته أصولاً وفروعاً ، وفاقَ بذلكَ أقرانَه بصفَاء فكرَتِه ، وساعدَه على ذلك أنّه أدركَ كبار مشائخ بني الحسَن والحُسين فانتهَل علماً صافياً من ينبوعِه ومصدرِه ، حتّى بلغَ مبلغَ العُلَمَاء الأعلام ، وأصبحَ يُشارُ إليه بالبَنان ، وقد كان أهل العِلم من سادات العترَة يتوسّمونَ فيه الخيرَ كلّه، ففي وقتِ دراستِه إلى شيخٍ من شيوخ آل الحسن ، وقَد كَان يَدرس عِندَه فِتيان آل الحسَن، وكَانوا إذا جَاءوا قَام في وجوههم، عَظّمَهم فَأقسَمُوا عَليه لا فعَل، وكان القَاسم عليه السلام مِن شَباب ذلك العصر، فكانَ إذا أتى قامَ في وَجهه وعظّمه، فقالوا: أيها السّيد، إنَّا قد عذرنَاك، وهذا الفتى لكَ أعذَر، قَال: لَو تعلمُون مِن حَقّ هَذا مَا أعَلم لاستصغَرتم مَا أصنع في حقّه، قَالوا: وما تعلم، قَال هذا الفتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يَخرج من وَلدي رَجل مَسروقُ الرُّبَاعِيّتين لَو كَان بَعدي نَبيٌّ لَكان هُو)) [المجموع المنصوري] ، وبلفظٍ آخَر ذكرَه الإمَام مجدالدّين المؤيّدي ، قالَ : ((وَرد عَن جَدّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مَا رواه أئمتنا أنّه قَال صلّى الله عليه وآله وسلم: ((يَا فاطِمَة إنّ مِنك هَادياً ومَهدياً ومُستلِب الرُّبَاعيّتين ولَو كَان نبيٌّ بَعدي لكَان إيّاه)) ، نعم! فصنعَت لنَا تلكَ المدرسَة العلويّة الفاطميّة الحسنيّة

والحُسينيّة إمامَ أهل البيت ونجمَ آل الرّسول القاسم بن إبراهيم القائل : ((لقَد أدركتُ مشيخَة ولد الحَسن والحُسين وما بينَهم اختلاف)) ، والذي قالَ فيه ابن عمّه الإمَام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عَلي ، وقد سُئلَ عنه : ((سَيّدُنا وكَبيرُنا، والمنظورإليه مِن أهلِنا، ومَا في زمَاننا هذا أعلم مِنه، ولقَد سمعته يقول: ((قَد قَرأت القرآن والتّوراة والإنجيل والزّبور، ومَا علمي بتأويلهَا دُون عِلمِي بتنزيلِها)) ، ثمّ قَال: لَو سَألتَ أهلَ الأرض مِن عُلماء أهل الَبيت لقَالوا فيه: مثل قَولي، قِيل له: فَأحمد بن عيسى بن زيد؟!. فَقال: أحمد بن عيسى مِن أفضَلِنا، والقَاسِمُ إمَام)) ، وقد كان لهُ أيضاً عند أخيه الإمَام محمّد بن إبراهيم طباطبا شأنٌ عظيم ومنزلةٌ رفيعَة ، وقد عاصرَ الإمَام القاسم طفلاً وشابّاً سَادات العترَة الحسنيّة والحُسينيّة ، فممّن عاصرَهم :

١ – الإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٢ – الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت١٧٧هـ) .

٣ –الإمام موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت حول الـ ١٨٠هـ).

٤- الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت١٨٣هـ).

٥- الإمام الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت١٩٠هـ).

٦- الإمام إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت ١٩٠هـ) .

٧- الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الشبه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت١٩٩هـ) .

٨- الإمام محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت ٢٠٠هـ) .

٩- الإمام محمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢٠١هـ)

١٠- الإمام علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢٠٣هـ) .

١١- السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (ت٢٠٨هـ) .

١٢- الإمام علي العريضي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢١٠هـ) .

١٣- الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب. (ت٢١٣هـ) .

١٤-الإمام محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت بعد ٢٢٩هـ وهو تاريخ خروجه من الحبس) .

١٥- الإمام يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (ت القرن الثاني).

١٦- الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (٢٤٠هـ).

١٧- الإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت٢٦٠هـ) .

١٨ – الإمام عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب. (ت٢٤٧هـ) .

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) داعياً لأخيه الإمَام محمّد بن إبراهيم :

فاتّجه نظرُ الإمَام محمّد بن إبراهيم إلى أن يعتمدَ على أخيِه الإمام القاسم بن إبراهيم كأحد أبرزِ دُعاتِه لمّا كان يثقُ في حُسن دَعوتِه ، وإحاطَته بكتاب ربّه ، وهَدي نبيّه محمّد صلوات الله عَليه وعلى آله ، وفصاحَته وحُسن بيانِه للأمّة ، فأرسلَه داعياً له إلى بلاد مِصرَ ، وعمُر القاسم حينها ستّة وعشرون عاماً ، فاستجابَ الإمَام لأخيه الإمَام محمّد بن إبراهيم ، واتّجه بنفسِه وأهلِه إلى بلام مصر داعياً إلى أخيه ، وهُناك أجهدَ نفسَه في الدّعوة إلى الرّضا من آل محمّد ، لإصلاح أمر الأمّة ، والأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكَر نهجَ آبائهِ الأطهَار ، وفي ذلكَ الوقت من سنَة (١٩٩هـ) للهجرة من شهر جمادى الأولى ، كانَ الإمَام محمّد بن إبراهيم قد خرجَ في الكوفَة مع أبي السّرايا ومَن كان قد بايعَه من زيديّة الكوفَة ومن فقُهائها ومنهُم يحيى بن آدَم ، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبو نُعيم الفضل بن دكين، وعبد اللهّ بن علقمَة ، فوجّه إليه الحسن بن سهل ـ وهُو يلي العراق من قِبَل المأمون ـ: زهيرَ بن المسيب الضَّبِّي مع عَشرة آلاف رجل، فخرَج إليه أبو السّرايا مع أصحابه من أهلِ الكوفة والعَرب فقاتلهم وأوقَع بهم وهَزمهم وغَنم دَوَابّهم وكرَاعهم. ثمّ أنفذ الحسَن بن

سَهل بعبدوس بن عبد الصّمد وضمّ إليه جَيشاً كثيراً لإعادَة القِتال. وكانَت له عليه السلام ستّ وقعَات على باب الكوفة، وأصابَه في خروجه سَهم وطُعِن فاعْتَلّ. فلمّا رأى أبو السّرايا الموتَ في عيني الإمَام قال: يَا بنَ رَسُول اللهّ كُلُّ حَيّ مَيّت وكُل جَديد بَال، فَاعهَد إليَّ. فقَال: ((أوصيكَ بتَقوى اللهّ والمقام عَلى الذّب عَن دِيننا ونَصر أهل بَيت نبيّك صلى اللهّ عليه وعلى آله)) ، وقالَ (ع) : ((لَو كَان أخي القَاسم حَاضِراً لَعهِدتُ إليه ، ثمّ أشَار إلى عَلي بن عُبيد اللهّ [بن الحُسين بن عَلي بن الحُسين السّبط] وقالَ: قَد بَلوتُ طَريقَتَه ورَضِيتُ بِه. واعتقَلَ لسَانُه)) ، قلتُ: وهذا العهدُ هو تقديمٌ في وقت المِحنَة والأصل في الإمَامَة هي الدّعوة ، ثمّ اعتذَر زاهدُ الآل علي بن عُبيدالله ، وأُلزِمَ الإمَام محمّد بن محمّد بن زيَد بن عَلي وقامَ بالدّعوة وأسرَه المأمون العبّاسي ، نعم! فذلك من منزلَة الإمَام القاسم بن إبراهيم صَلوات الله عَليه عندَ الإمَام محمّد بن إبراهيم صَلوات الله عليهما ، وكان استشهَاد الإمَام محمّد في أوّل شهر رجب من سنَة (١٩٩ هـ) .

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) بعد استشهَاد أخيه الإمَام محمّد بن إبراهيم:

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) في مِصر:

كلّ ذلك والإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي صَلوات الله عليه في أرض مِصر ، فقام (ع) ودعَا إلى نفسه وعُمره آنذَاك ستةٌ وعشرون عاماً بالإمامَة وهُو مُستترٌ يبثُ دعاتَه في الآفَاق طيلَة عشر سنوَات قضَاها في مصر بعد استشهَاد أخيه الإمَام محمّد بن إبراهيم ، فأجابَه عالَمٌ من النّاس وأتته البيَعات من مكّةَ، والمدينَة ، والكوفَة ، وأهل الري، وقزوين، وطبرستان، والدّيلم، وكَاتبه أهل العَدل مِن البَصرة، والأهواز، وحَثّوهُ عَلى الظّهور وإظهَار الدّعوَة ، إلاّ أنّ القاسم بن إبراهيم صَلوات الله عَليه يظهَر أنّه كان يرجو اجتماعاً أكبَر وقد خبرَ خروجَ أخيه وخبرَ قوّة بني العبّاس ، وقد كانَ الإمَام القاسم على ذلك الحال من الاستعدَاد والأهبَة كانَت عيون المأمون العبّاسي وجنودَ عاملِه بمصر عبدالله بن طاهِر قد شعرَت بذلك وخطر الإمَام القاسم ، فضيّقَت عليه السّبل في مِصر لمّا انتشرَ خبرُه ، ومن تلكَ المُضايقَة ما يرَويهَا الإمَام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحسين الهارونيّ الحسنيّ، عن أبي العبّاس الحسني وهُو الحافظُ أحمَد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن دَاود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عن جدّه الحسَن بن إبراهيم ، عَن أبي عَبد اللهّ الفَارسي – وهُو خادم الإمام القاسم- قَال: ضَاق بالإمَام القاسم عليه السلام المسالك ، واشتدّ الطّلب، ونَحن مُختفون مَعه خَلف حَانوت إسْكَافٍ من خُلصان الزيدية، فَنُودِيَ نداء يَبلغُنا صَوته: بَرئت

الذّمّة ممّن آوَى القاسم بن إبراهيم، وممّن لا يدلّ عَليه، ومَنْ دَلّ عَليه فَلَه ألفُ دينَار، ومِن البَزّ كَذا وكَذا. والإسْكَافِيّ مُطرقٌ يَسمع ويَعمَل ولا يَرفع رَأسَه، فَلما جَاءنَا ، قُلنا له: أمَا ارْتَعت؟ قَال: ومَنْ لِي بارتيَاعي مِنهُم، ولَو قُرِّضْتُ بالمقَارِيضِ بَعد إرضَاء رَسُول اللهّ صلى اللهّ عليه وعَلى آله عَنّي فِي وِقَايَتي لِوَلَده بِنَفسِير [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] . نعم! ، قلتُ: وهذا يقودُنا إلى وجود التشيّع الزّيدي في بلاد مصر في ذلك القَرن من انتشار دعوات العترَة ووجود رجالات بني الحسَن والحُسين من ذريّة السجّاد صَلوات الله عَليه ، ولولا ذلكَ ما وسعَ الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) أن يقيمَ في مصر عشر سَنوات بعدَ استشهَاد أخيه ، بل لَمَا توجّه إلى مصر وليسَ لهُم هناك شيعَةٌ مُخلصون ، وذريّات السّادة الأشراف في مصر كانوا على قول الزيديّة ولهذا أبحاث تأرخيّة متخصّصة .

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) في المدينَة :

نعم! فلمّا وُجهَت الجيوش وضُيِّقَ على الإمَام القاسم خرجَ إلى جَهة الحجَاز وتهامَة عائداً من جيوش المأمون العبّاسي ، وذلك كان سنة (٢٠٩هـ) تقريباً. وفي ذلكَ الوقت كانَت دُعاتُه من بني عُمومته من بني الحسن والحُسين قد توجّهت إلى بَلْخ، والطّالقَان، والجوزجان، ومِرْوذ فبايَعه كَثير مِن أهلها، وسَألوه أن يَنفُذَ إليهم بِولَدِه ليُظهِروا الدّعوَة ، والذي يظهَر أنّ

أوّل ما أعقبَه الإمَام القاسم من الذّكور كانَ الإمَام محمّد بن القاسم بأرض مِصر ، لأنّ ولادَة محمّد بن القاسم كانَت سنة (١٩٩هـ) ، وهو زمن استشهَاد عمّه الإمَام محمّد بن إبراهيم (ع) ، ثمّ أعقبَ الإمام القاسم غيرَه في مِصر ، نعم! فاشتهَر أمر الإمَام القاسم بن إبراهيم من تلكَ الدّعوات وطلبُ النّاس إليه وهُو بالمدينَة ، فأرادَ الإمَام القاسم (ع) إظهَار دَعوته وإعلان الجهَاد وهُو في المدينَة النبويّة المنوّرة ، وقد أشار عليه أصحابُه بأن لا يفَعل ذلكَ في المدينَة ، وقالوا: ((المدينَة والحِجاز تُسرع إليهِما العَساكر ، ولا يُتَمكّن فيها مِن السّير)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، فذهَب مُطارداً إلى مكّةَ.

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) في اليمَن :

ومن مكّةَ توجّهت إليه الجيوش ولاحَقته إلى اليَمن ، وقد لاقَى صلوات الله عَليه جهداً وعناءً من ذلك التنقّل والتشرّد في البلاد من مُطاردة الظّلمة وإجهادهِ لهم ، وقد حصلَت له حادثةٌ وهُو في طريقِه إلى اليمن قصّها مع جماعَة من العترَة بعد استقراره لاحقاً ، فقال (ع) : ((أشد مَا مرَّ بي أني لما خَرجتُ مِن مكة أريد اليمن صِرت إلى مفَازة لا مَاء فيها، ومَعي زَوجتي ابنة عمّي، وبها حَمْلٌ فجاءها المخاض في ذَلك الموضع فَحفرتُ لها حفرة لتتولى أمر نفسها، وضَربت في الأرض أطلُب لها ماء، فَرجعت وقد وَلدت غلاما وجَهدها العَطش، وألحّت في طلب الماء فَرجعت إليها وقَد مَاتَت والصّبي

حَيّ، فَكان بقَاء الغلام أشدّ عَليّ مِن وفَاة أمّه، فَصَلّيت رَكعَتين ودَعوتُ الله أن يَقبِضَه، فما فَرغتُ مِن دُعائي حتّى مَات)) [المصابيح] ، نعم! وفي اليمن فقد كانَ قد لاذَ (ع) بحيّ من أحياء البدو واستخفَى فيه ، ويقال بل استخفى في بادية لقبيلة حَرْب ، والأوّل أرجَح ، قالَ الإمَام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحسين الهاروني (ع) : ((وَلم يَزل عَلى هذه الطريقة مُثابراً على الدّعوة صَابراً عَلى التّغرب والتردّد في النواحي والبُلدان، مُتحمِّلا للشدّة، مُجتهداً في إظهَار دِين اللهّ)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، قلتُ: وقد مكثَ الإمَام القاسم على ذلك الحَال تسع سنوَات ، إلى إن بلغَه موت المأمون العّباسي سنَة (٢١٨هـ) ، وهُو في اليَمن ، وقد كانَت قد طَالت المدّة والعَهد بالعترَة والشّيعَة من تلكَ الغُربَة والتشرّد ، فعادَ الإمَام القاسم (ع) إلى المدينَة بعد ارتحالٍ من عدَن اليمَن إلى بلاد السّودان إلى مصرَ مرّة أخرَى إلى المدينَة.

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) في الكوفَة ، وبيعَة سَادات العترَة له :

والذي يظهَر من طول مدّة إرسال دعاة القاسم بن إبراهيم (ع) ، من بعد اسشتهَاد أخيه ، وعدم تمكّنه (ع) من إظهَار دَعوتِه ، وهذا يُنبئ عن مُضايقَة شديدة جدّاً ومُطاردَة للقاسم بن إبراهيم (ع) ، والمـأمون كانَ أكثرهم تمكّناً وحنكةً ودرايةً ببني عليّ وشيعتِهم ، الذي يظهَر أنّ الإمَام القاسم (ع) قد عذَر واعتذرَ إلى مَنْ أجَابَه ، إلاّ أنّ نفس الإمَام القاسم

صلَوات الله عَليه كانَت لا تزالُ تأبى الظّلم وتتحيّن الفُرص للأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكر ، فاتّجه صَلوات الله عَليه من الحجَاز إلى الكوفَة بعد موتِ المأمون العبّاسي وتولّي المعتصم العبّاسي زمام الخلافَة ، وهُناك في الكوفَة اجتمعَ مع سَادات العترَة في زمانهِم في منزل الحافظ محمّد بن منصور المُرادي ، والمُجتمعون هُم الأئمّة أحمد بن عيسى بن زيد بن عَلي ، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عَلي ، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السّبط ، والقاسم بن إبراهيم الرّسي صلوات الله ورضوانُه عليهم أجمعين ، ونسوقُ رواية الإمام أبي العبّاس أحمد بن إبراهيم الحسني ، بإسنادِه ، عن الحافظ محمد بن منصور المُرادي ففيها فوائدّ عدّة للباحث ، قال : فيروي أبو العباس الحسني (ع) بسنده ، أنّ محمد بن منصور المرادي (ستأتي ترجمته) قال الحافظ المُرادي : ((كُنتُ فِي مَنزِلِي بِالكوفَة سَنةَ عِشرين ومَائتين كَئيباً حَزيناً لِمَا فِيهِ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومَا فِيهِ شِيعَتهم، حَتّى اسْتَأذَنَ عَليَّ أبو عَبد الله أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فَاستَقبَلتُه، وأدْخَلته مَنزِلِي، وَرَحّبْتُ بِه، وسَرّتني سَلامَته مِن البَصرَة، ثمّ مَا شَعرتُ بِشيء وأنَا فِي الحدِيث مَعهُ والتوجّعِ لِمَا فيهِ أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حَتّى استأذَن إليّ أبو محمد القَاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي عليه السلام فَاستقبَلته وأدْخَلتُه، ورَحّبتُ بِه، وسُرِرتُ

بِسَلامَتِه مِنَ الحِجَاز، وجَعلنا نَتحدّث، ونَذكُرُ مَا فِيهِ النّاس مِن الظّلم والتّعدّي، ومَا تَغلّب عَليه الجائرون، حَتى استأذَن عَبد الله بن مُوسى بن عبد الله بن الحسن عليه السلام فَغدَوتُ فَاستقَبلته، وأدْخَلته الدّار، وهَنأتُ لَه بِسَلامَته، وقُدومِه مِنَ الشّام سَالِماً ، لأنّه كَان بِجَبل لكام ؛ وأقبَل عَليه أحمد بن عيسى والقاسم بن إبراهيم يَسألانِه عَن حَالِه وأمرِه. قال: ورَآهم أبو محمد الحَسن بن يحيى بن الحسين بن زيد عليهم السلام فَجاءنا ودَقَّ عَلينا الباب فَقُمتُ فَفَتحتُ له ، فَسلَّم عَلى القوم ودَعَا لَهم بِالسّلامَة، وقَال: الحمدُ لله الذي جَمَعنا وإيّاكم فِي دَارِ وليٍّ مِن أوليائنا.

قال محمد بن منصور: وهَؤلاء هُم الذين كَان يُشارُ إليهِم ويَفزَعُ السّلطانُ مِنهُم، وقَد امْتنَعوا عَن الحضورِ عِندَهُم وفِي مَجَالِسِهِم، وأخْذِ عَطَايَاهُم.

قال محمد بن منصور: فَوَرَدَ عَليَّ مِنَ السّرور مَا لا أحُسِنُ أنْ أصِفَه، ودُهِشتُ وأرَدتُ أنْ أخَرُجَ فَآخُذَ مَا يَأكلون، فَقَالوا: إلى أينَ تَمضِي زُرنَاك وتَتركُنا وتَخرُج؟!.

فقلت: يَا سَادتي، آخذُ لكُم مَا يَصلحُ مِن المأكُول.

فقالوا: ومَا عِندَك شَيء؟!.

قلت: بَلى، ولكن أستَزيد.

قالوا: ومَا عندك؟

فقلت: عِندِي خُبزٌ وملح ولَبن وتمرٌ «سابري» .

فقالوا: أقْسَمنا عَليكَ لا تزيد عَلى هَذا شيئاً، وأغْلِقْ البابَ لِنأمَن، فَقُمتُ واستوثَقتُ مِنَ الباب وأغلَقتُه، وقَدّمتُ إليهِم طَبقاً عَليه خُبزٌ ومِلح، وخَل ولَبنٌ وتمَر، فَاجتمَعوا وسمّوا الله عزَّ وجل، وجَعلوا يأكلون مِن غَير حِشمة حَتى استوفوا وشَربوا مِن مَاء الفُرات الذي كَان عِندي، وقَامُوا فَتوضئوا للصلاّة فَصَلّوا صَلاة الأولى فُرادى، وَوحدَاناً، فَلمّا انقَلبوا مَدّوا أرجُلَهُم كَلّ وَاحِدٍ عَلى سِجّادَتِه ، يَتحَدّثون ويَغتَمّونَ لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومَا هُم فِيهِ مِن الجُور، والظّلم، فَقُمتُ وقَعَدتُ على عَتَبَةِ الصّفة لِيرَانِي جَمَاعَتُهم، وبَكيت، وقُلت: يَاسَادَة أنتم الأئمّة، وأنتُم أولادُ رسول الله ، وأولادُ عَليٍّ وفَاطِمة صلوات الله عليهم أجمعين «وأنْتم المُشارُ إليكُم»، وأنتُم أهلُ العَقد والحِل، وأنتُم العُلَمَاء، والأئمّة مِن ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وَوَلدِ الوَصيّ عليه السلام ، قَد اجْتَمعتُم وجَمَع الله بَينكُم، ونَحنُ بِلا إمَام، ولا لَنا جُمعَة ولا جَمَاعة، ولا عِيد، فَارحَموا كبر سنّي، واعمَلوا فِيمَا يُقرّبكُم إلى الله عزّ وجل، وبَّايعوا واحِداً منكُم، أعلَمُكُم وأقوَاكُم حَتى يكون الرّضَا منكُم، تَرضَونَ به «لِي ولأمثالِي وللمُسلمين، ولا نَموت مِيتةً جَاهليّة بلا إمَام، ويَكون لنا إمامٌ نُطيعُه ونَعرفُه ونموتُ بإمَام».

فقالوا : صَدَقت أيّها الشيخ، مَا أحسنَ مَا قُلت، وإنّ لكَ مِلّتنا، ولَحمَنا ودَمنا، وأنتَ منّا أهلَ البيت، ومَا نَطقتَ فَهو الصّواب، ونَحنُ نَفعَلُه بإذن الله، إن شاء الله.

قال: فقلت: فَرّحُوني، ولا تَبرحُوا حَتى تُبرمُوه ولا تؤخّروه إلى مَجلسٍ آخَر، فَإنّا لا نَأمَن مِنَ الحَوادِث.

فبَرَزَ أبو مُحمد القَاسم بن إبراهيم، وأقبَلَ على أبي عبد الله أحمد بن عيسى وقال: إنّ شيخنا وَوليّنا قَد قَال قَولاً صادقاً متفقاً، وقَد اخترتُك لأمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنتَ العَالم القوي ، تَقوَى على هذا الأمر، فَقد رَضِيتُك، ورَضِي أصحَابُنا فَتوَلَّ هذا الأمر، فَمُدَّ يَدَك أبَايِعُكَ عَلى كتاب الله وسنّة رسوله، فَأنتَ الرّضَا لنَا، مَا تَقولُون يَا أصَحَابنَا؟ قَالوا جميعاً: رِضَا رِضَا، فَقال أحمد بن عيسى: لا والله وأنتَ يا أبا محمّد حَاضِر، إذا حَضرتَ فَلا يجبُ لأحَدٍ أن يَتقدّمَك، ويَختارُ عَليك، وأنتَ أولَى بِالبَيعَة مِنّي، فَقال القَاسِم: اللّهم غُفرا، اللّهم غُفراً، أرْضَاكَ وأسألُكَ أن تَقُومَ بأمْرِ أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فَتحيلَه عَليَّ، فَقال: لا يَكونُ ذَلكَ وأنتَ حَاضِر.

قال: ثمّ أقبلَ القَاسِم عَلى عَبد الله بن مُوسى، فَقال: يَا أبا محمّد قَد سَمِعتَ مَا جَرى وقَد امتنعَ أبو عبد الله أنْ يقبَل مَا أشرتُ بِه، وأنتَ لنَا رِضَا، وقَد

رَضِيتُكَ لِعِلمِك وزُهدِك. فقال: يا أبَا محمد نَحنُ لا نَختَار عَليكَ أحَداً، وقَد أصَابَ أبو عبد الله فِيمَا قَال، فَأنتَ الرّضا لَنا جَمِيعاً. فقال القاسم: اللّهم غُفراً أحَلتَ عَليَّ أنتَ أيضَاً، لِمَ تَزهَدُونَ فِي النّظر لأمّة أبِيكُم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وللنّاس عَامّة ؟!.

ثمّ أقبلَ عَلى الحَسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، فَقال: فَأنتَ يَا أبا محمّد اقْبل هَذا الأمر فَإنك أهْلٌ لَه، وأنتَ قَوي على النّظر فِيه، والبَلَدُ بَلَدُك، وتَعرِفُ مِن أمرِ النّاس مَا لا نَعرِف. فقال: يا أبا محمّد والله لا يَتقدّمُ بينَ يَديكَ أحَد إلاّ وهُو مُخطِئ، أنتَ الإمام، وأنتَ الرّضَا، وقَد رَضِينَاك جَمِيعاً. فقال القاسم: اللّهم غفرا ،ً اللّهم غفراً.

قال: ثم إنّ أحمد بن عيسى أقبلَ عَلى القَوم، فَقال: إنّ أبَا محمّد لَنَا رِضَا وقَد رَضيتُ بِه. قال عبد الله بن موسى و الحسن بن يحيى: صَدقتَ أيها الشّيخ.

قال محمد بن منصور: فَخِفتُ أنْ يَفُوتَنا وَقتُ صَلاةِ العَصر، ولم يُبرِمُوا أمراً حتى أسَرَّ أحمد بن عيسى إلى القَاسِم بن إبراهيم وأخَذَ يَده، وقَال: قَد بَايَعتُكَ عَلى كتابِ الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأنتَ الرّضا، فَجَعَل القَاسم صلوت الله عليه يَقول: اللّهم غفراً.. اللهم غفراً، ثمّ بَايَعه عبد الله بن موسى، والحسن بن يحيى ورَضُوا به، وقَالوا لي: بَايِع، فَقُمتُ إليه وبَايَعتُ

القَاسم بن إبراهيم عَلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قَال لي القاسم: قُم يَا أبا عبدالله وأذِّن، وقُل فيه: حيَّ عَلى خَيرِ العَمَل، فَإنه هَكَذا نَزَلَ بِه جبريل عليه السلام عَلى جَدّنا محمّد صَلى الله عَليه وآله وسلم ، فَقمتُ، وأذّنتُ ورَكَعتُ وأقمتُ فَتقدّم القاسم بن إبراهيم عليه السلام فَصلّى بِنَا جمَاعَة صلاة العصر، وبَاتوا عِندي تِلكَ الليلة، وصَلى بِنا المغرب والعشاء جماعة، فَلمّا أصبَحوا تَفرّقوا، ومَضَى القَاسم بن إبراهيم إلى الحجاز، وأحمد بن عيسى إلى البَصرة، وعبد الله بن موسى إلى الشام، ورجَع الحسن بن يحيى إلى مَنزله، فَكانوا عَلى بَيعة القَاسم عليه السلام)) اهـ من رواية مُحدّث الآل ، أبو العباس الحسني (ع) [المصابيح] .

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) في المدينة ، واتّخاذه من جبال الرّس مسكناً :

وبعد بيعَة أئمّة العترَة بعد أن كان أمرُ الإمَام القاسم (ع) في تطريدٍ وتشريدٍ وعَدم ظهُور ، انتشرَ ذلك الخبر بين الشّيعَة ، وقرعَت مسامع المعتصم العبّاسي ذلك الاجتمَاع والبيعَة ، فأعدّ عيوناً وجيشاً كبيراً بقيادَة الملقّب بُغَاء الكَبير ، وأشناش التّركي ، وقد كانَ الإمَام القاسم في عسكرِه وبين أصحابِه ، والمعتصم العبّاسي يحشدُ عَليه ، فسمعَ الإمَام القاسم صوت طنبورٍ في جيشِه ، فغضبَ (ع) ، وقالَ : ((والله هَؤلاء لا يُنتصَرُ بِهم، وتَرَكَهم)) [التّحف شرح الزّلف] ، قالَ الإمام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحسين الهارونيّ

(ع) : ((تَشدد محمّد هَذا [المعتصم] في طلبه وأنفذ الملقب: ببُغَاء الكَبير وأشنَاش في عساكر كَثيرة كثيفة في تتبع أثره، وأُحْوِجَ إلى الانفراد عن أصحَابه وانتقضَ أمرُ ظهورِه)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، فلَم يتمّ للإمَام القاسم بن إبراهيم صَلوات الله عَليه الأمر ، بعدَ محاولات وطَلب للأمّة وضربٍ في البلاد ، حتّى تولّى المتوكّل العبّاسي حكم المُسلمين ، فآثَر صلوات الله عَليه الاعتزَال للنّاس والبعد عن عيون العباسيّة وإقامَة ما تبقّى من عُمره في عبادَة الله تعالى مع شدّة نبذِه للظّلمَة ، فاختار بلاد الرّس ليكونَ أبعدَ عن الظّلمَة والتّعامُل معَهم ، قالَ الإمَام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحُسين الهاروني (ع) : ((وكانَ عليه السلام انتقل إلى الرَّس في آخِر أيّامه، وهِي: أرض اشترَاها عَليه السلام ورَاء جَبل أسوَد بالقُرب مِن ذِي الحُليفة وبنَى هُناك لنفسِه ولِولَدِه)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، ويصفُ الحالُ ابنه الإمَام محمّد بن القاسم في وصيّته لذريّته يصفُ له حالَ جدّهم القاسم بن إبراهيم (ع) ، قالَ : ((فَأقرَب مَن بِه في ذلك تَقتدون ، وبِفعله في الهجرة عن القرى والمدن تَأنسُون، جَدّكم الأقرَب أبي وأبوكم القَاسم بن إبراهيم رضي الله عنه ورحمه، وقَبِل عُزلته وهجرته منه، وقَد كَان رحمه الله زماناً طويلاً من عُمره بالمدن مُدن الحجاز ومَدينة مصر ساكناً داعياً إلى طاعة الله، فلمّا لَم ير في أهل القُرى والمدن إلى طاعَة الله ربه وحقّه ومَرضاته مُستجيباً، ولم ير فيهَا إلاَّ

غَرقا في الجهل والمعَاصي لا تَائباً إلى ربه ولا مُنيباً، ورأى القُرى والمدن أصل كلّ مُنكر وضَلال، وتجمّع الفجّار والفُسّاق والأرذال الدُّنَاة والأفسَال، تَبرّأ إلى الله منهم، وهَاجر إلى البَادية والجبال عَنهم، فوفّقه الله للصواب في ذلك وأرشدَه، وأرَاه لَهُ الخيرة في دُنياه وأسعده، فخَلا بنفسه وأهلِه وَولَده، وجرَى حُكمه عليهم وعلى مَن تحتَ يَده، فصَار ـ نَظراً واختياراً، بَعد أن أحاط بالمدن والقُرى وأهلها اختبَاراً ـ إلى بادية المدينة وجبالها، وتنحّى عَن المدينة وأهلهَا وحلّ في جَبل من بَاديتها يُسمّى قُدْساً ، فكَان به حِيناً وكنّا به مَعه أطفَالاً صغَاراً، لا يُعاين فِسقاً ولا فُجوراً ولا منكراً، ثم انتقل إلى وادي الرّس وجباله، فكان خَالياً فيه بولَده وعِيالِه، مَا أمرَنا فيه مِن أمرٍ أطعنَاه، ومَا عَرّفنا في الدِّين مِن حَقّ أو قَول في الهُدى والصّواب قَبِلنَاه)) [الهجرة والوصيّة] .

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) العالمُ العابدُ الزّاهد :

وفي عبادَة الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) وخشيته من الله تعالى ، ما يُحدّث به الإمَام النّاطق الحقّ يحيى بن الحُسين الهاروني ، عن أبي العبّاس الحسني أحمد بن إبراهيم ، عن جدّه الحسن بن إبراهيم ، عن أبي عبدالله الفارسيّ خادم الإمَام القاسم ومُلازمُه في السّفر ، قَال: دَخَلنا مَعه عَليه السلام حِين اشتدّ به الطلب ـ أظنّه قَال: أوائل بلاد مصر ـ فانتهَى إلى خَان، فاكترَى خمس

حُجَر مُتلاصِقَات، فَقُلت لَه يَا بن رَسُول اللهّ نحن في عَوَزٍ من النّفقَة وتَكفينا حُجرَة مِن هَذه الحُجر، فَفرّغ حُجرتين عن اليَمين وحُجرتين عن اليسَار، ونزلنا مَعه الوُسطى منهن، وقال: هُو أوقَى لنَا مِن مُجاورة فَاجِرٍ وسَماع مُنكَر. [الإفادَة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، وقال أبو القاسم البستي : ((واكْترى بمكّة ثلاث حُجَر بثلاثة دنانير نَزَل في الأوسط. فقيل له: أنتَ واحدٌ، وأنت مضيّقٌ، فما حاجتك إلى هذه الحُجَر؟ فقال: أنا أخشى أن يَسمع أولادي من أهل مكّة والغرباء الخنا فيتعلّمون)) [المراتب في فضائل أمير المؤمنين] ، وفي شدّة بغضُه للظّلمَة حَكى الإمَام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام عَن أبيه : ((أنّ المَأمون كَلّف بَعض العلوية أن يَتوسّط بَينه وبين القاسم عليه السلام، ويَصل مَا بَينَهُما عَلى أن يَبذُل له مَالاً عظيماً، فخاطبَه في أن يَبدأه بكِتَاب أو يُجيب عَن كِتابه، فقال [القاسم] عَليه السلام: لا يَراني اللهّ تعالى أفعل ذَلك أبَداً!)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، وقد ردّ سبَعة أبغل محمّلة بالدّنانير وهُو بمصر ولم يقبلَها من المأمون العبّاسي [المصابيح] ، وفي شدّة عبادته صَلوات الله عَليه ، يروي الإمَام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحسين الهارونيّ ، عن أبي العّباس الحسنيّ أحمد بن إبراهيم ، عن أبي عبد اللهّ الفارسي قال: حَججنا مَع القَاسم بن إبراهيم عليه السلام، فَاستيقظت في بعض الليل وافتقدته، فَخرجت وأتيتُ المسجِد الحرَام؛ فإذا أنا به وَراء المقام

لاطئا بالأرض سَاجداً، وقد بلّ الثّرى بدموعه، وهو يقول: ((إلهي مَنْ أنا فَتُعذِّبَني، فَواللهّ مَا يَشين مُلكك مَعصيتي، ولا يَزين مُلكك طَاعَتي)) [الإفادة في تاريخ الأئمة السادة]. وقال الإمام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحسين الهارونّي ، وحدثني [أبو العبّاس] رحمه الله، عَن عبد اللهّ بن أحمد بن سَلاَّم رحمه الله، أنَّه قال عن نفسه أو عَن أبيه: لَستُ أجسُر عَلى النظر في (كتاب الهجرة) للقَاسم عليه السلام، وأومَى إلى أن ذَلك لما فيه مِن التّخشِين والتّشديد في الزّهد وتَرك الدّنيا والتّباعُد مِن الظّالمين. [الإفادة في تاريخ الأئمة السّادة] ، وقال القاضي الحسين بن ناصر النيسائي : ((كَان له عليه السلام مِن خشيَة الله مَا يُشبه به أمير المؤمنين عليه السلام ، وإعرَاضه عَن الدّنيا وَورعه أشهَر من أن يذكر وأظهَر مِن الشّمس والقمَر)) [مطمح الآمال] .

الإمَام القاسم بن إبراهيم (ع) الرّجل الكَريم :

روى أبو العبّاس الحسني أحمد بن إبراهيم ، بإسنادِه ، عن إسمَاعيل بن محمّد بن إبراهيم ، قَال: لما استوفى عَمّي غلّته بخمسين ديناراً ، فلقيَه رَجُل يَمدَحُه وأنشدَه قَصيدةً يَقول فيهَا:

وَلو أنّه نَادى المُنادِي بِصوتِه بِبَطن مِنىً فيما تَعـــم المَواســم

مَنِ السَّيدُ السَّبّاق في كُل غَايةٍ لقالَ جَميع النّاس لاشَـــكّ قَاسِم

إمام من أبناء الأئمة قدمت له الشرف المعروف والمجد هاشم

أبوه علي ذو الفضائل والنهى وأبناؤه والأمهات الفواطـــــم

بنات رسول الله أكرم نسـوة على الأرض والآباء شم خضارم

من أشعَار الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع) :

ونَى الْتَّهجير والدَّلَجُ .... وأَقْصَر في المُنَى لَجِجُ

وطافَ بِحَالِكي وَضَحٌ .... عليه من البِلى نَهَـجُ

فقلت لنفسِ مكتئبٍ .... عَلاَهُ من الردى ثَبَـجُ

قَطِي ما دمتِ في مهلٍ .... فإن الحبل مُنْدَمـــجُ

ولا تَسْتَوْقِرِي شُبهاً .... فوجه الحق مُنْبَلِـــجُ

وزور القول مُمَّحِقٌ .... إذا طافت به الحُجَـــجُ

فَهَبْكِ رتَعْتِ في مَهَلٍ .... أليس وراءكِ اللججُ

وعــاذلةٍ تُؤَرِّقُنِي .... وجنحُ الليـــلِ مُعْتَلِـــجُ

فقلــتُ رُوَيدَ عاتبةً .... لكل مهـــمةٍ فَـــــرَجُ

أسَرَّكِ أن أكون رتَعْـ .... ـتُ حيث المال والبَهَج

وأني بِتُّ يَصْهَرُنِي .... لِحَرِّ فِرَاقـــه وَهَـــــجُ

فَأُسْلَبُ ما كَلِفْتُ به .... ويبقى الوزرُ والحَرَجُ

ذريني حِلْفَ قاضيةٍ .... تَضَـــــايقُ بي وتَنْفَرِجُ

ولا ترمِيَن بي غَرَضاً .... تطـــــــاير دونهُ المُهَجُ

إذا أكدى جنى وطنٍ .... فلي في الأرضِ مُنْفَرَجُ

أبرَز من تتلمَذ وأخذَ عن الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع) :

١ – ابنه ، الإمام محمّد بن القاسم .

٢ – ابنه ، الحافظ الحسين بن القاسم .

٣– ابنه ، الحسن بن القاسم .

٤ – ابنه ، سليمان بن القاسم .

٥ – وغيرهم ، من أبناءه .

٦ – الإمَام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عَلي .

٧- صاحب كتاب الأنساب ، العقيقيّ ، يحيى بن الحسَن بن جعفر بن عُبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين السّبط ، ولهُ إليه مسَائل .

٨- الحافظ محمّد بن منصور المُرادي الكوفيّ .

٩- الحافِظ عبد اللهّ بن يحيى القومسي العلوي الذي أكثر الإمَام النّاصر للحق الحسن بن علي رضي اللهّ عنه الرواية عنه . هكذا قالَ الإمَام أبو طَالب يحيى بن الحسين الهاروني (ع) ، وفي غيره من المصادر والرّوايات عبدالله بن منصور القومسيّ .

١٠- الحواري العَابد ، محمّد بن موسى ، وقَد روى عنه فقهاً كثيراً .

١١- علي بن جهشيار ، وهُو جامع (الأجزاء المجموعة في تفسير قوارع القرآن) عنه عليه السلام .

١٢- أبو عبد اللهّ أحمد بن محمد بن الحسن بن سلاَّم الكُوفي صَاحب فِقه كَثير ورواية غَزيرة .

١٣- أبو محمّد عبدالله بن الحسَن الإيوازيّ الكلاَّري ، ولهُ إليه مسَائل ، والإمَام القاسم هُو من كنّاه بأبي محمّد على كنيته (ع) .

١٤- جعفَر بن محمّد النّيروسي ، ولهُ إليه مسائل .

١٥- الشيخ العلامة أبو بكر بن موسى الخوارزمي ، وقد روى عنه فقهاً كثيراً .

١٦- وغيرهِم .

مِنَ التّراث الفكريّ المَجيد للإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع) :

أولاً: في أصول الدين:

١- كتاب الدليل الكبير ينصر فيه التوحيد ويحكي مذاهب الفلاسفة.

٢- كتاب الرد على ابن المقفع.

٣- مناظرة الملحد بأرض مصر .

٤- كتاب الرد على المجبرة.

٥- كتاب تأويل العرش والكرسي.

٦- كتاب الناسخ والمنسوخ.

٧- كتاب مديح القُرآن الكَبير .

٨- كتاب مديح القرآن الصّغير .

٩- كتاب المسترشد .

١٠- كتاب الرّد على الرّافضة في الوصيّ والحجّة .

١١- كتاب الرّد على الرّافضة من أهل الغلوّ .

١٢- إمامَة على من تقدّم على عليّ عليه السّلام .

١٣- تثبيت الإمَامة .

١٤- كتاب الرد على النصارى.

١٥- مسائل القاسم (مسائل ابنه محمّد لأبيه القَاسم) .

ثانياً: في الفقه:

١٦- أجوبة الإمام القاسم عن المسائل التي سئل عنها نحو:

(مسائل جعفر بن محمد النيروسي وعبدالله بن الحسن الكلاري).

١٧- كتاب الطهارة.

١٨- كتاب صلاة اليوم والليلة.

١٩- مسائل علي بن جهشيار.

٢٠- جامع الأجزاء في تفسير قوارع القرآن.

٢١- كتاب الفرائض والسن.

٢٢- كتاب المناسك.

ثالثاً: في التصوف والزهد:

٢٣- سياسة النفس .

٢٤- المكنون .

٢٥- كتاب العالم والوافد .

٢٦- وغيرهَا .

ماذَا قالَ سادات بني الحسَن والحُسين عن الإمَام القاسم بن إبراهيم :

١- قال الإمَام المنصور بالله عبدالله بن حمزَة (ع) ، ((وهذا كلام جدِّنا القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وكانَ بمحلّ جَليل في الإسلام عند المخالف والمُوالف من جميع الطوائف، وفيه مِن الآثار ما ذِكْرُه يخرجنا إلى الإسهاب، من ذلك ما رواه القاضي العالم ابن عمار ، قال: أخبرني فقيه آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عصرنا الحسين بن حمزة ، قال: أخبرني أبي النفس الزكية والشيبة المرضية حمزة بن أبي هاشم الإمام الرِّضا ، يَرفعه عن آبائه إلى شيخٍ من شيوخ آل الحسن، كَان يَدرس عِندَه فِتيان آل الحسَن، وكَانوا إذا جَاءوا قَام في وجوههم، عَظّمَهم فَأقسَمُوا عَليه لا فعَل، وكان القَاسم عليه السلام مِن شَباب ذلك العصر، فكانَ إذا أتى قامَ في وَجهه وعظّمه، فقالوا: أيها السّيد، إنَّا قد عذرنَاك، وهذا الفتى لكَ أعذَر، قَال: لَو تعلمُون مِن حَقّ هَذا مَا أعَلم لاستصغَرتم مَا أصنع في حقّه، قَالوا: وما تعلم، قَال هذا الفتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يَخرج من وَلدي رَجل مَسروقُ الرُّبَاعِيّتين لَو

كَان بَعدي نَبيٌّ لَكان هُو)) [المجموع المنصوري] ، وبلفظٍ آخَر ذكرَه الإمَام مجدالدّين المؤيّدي ، قالَ : ((وَرد عَن جَدّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مَا رواه أئمتنا أنّه قَال صلّى الله عليه وآله وسلم: ((يَا فاطِمَة إنّ مِنك هَادياً ومَهدياً ومُستلِب الرُّبَاعيّتين ولَو كَان نبيٌّ بَعدي لكَان إيّاه)) [التّحف شرح الزّلف].

٢- كانَ أبو السّرايا قبل أن يجودَ الإمَام محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عَلي بن أبي طالب ، (ت١٩٩هـ) بنفسِه يقولُ له : ((يَا بنَ رَسُول اللهّ كُلُّ حَيّ مَيّت وكُل جَديد بَال، فَاعهَد إليَّ. فقَال: ((أوصيكَ بتَقوى اللهّ والمقام عَلى الذّب عَن دِيننا ونَصر أهل بَيت نبيّك صلى اللهّ عليه وعلى آله)) ، وقالَ أيضاً : ((لَو كَان أخي القَاسم حَاضِراً لَعهِدتُ إليه ، ثمّ أشَار إلى عَلي بن عُبيد اللهّ [بن الحُسين بن عَلي بن الحُسين السّبط] وقالَ: قَد بَلوتُ طَريقَتَه ورَضِيتُ بِه. واعتقَلَ لسَانُه)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] ، والإمَام محمّد بن إبراهيم هُو أخو الإمَام القاسم صلوات الله عليهما.

٣- روى أبو العبّاس الحسني أحمد بن إبراهيم ، عن محمّد بن عبد العزيز بن الوليد ، قال : سَألتُ الحسَن بن يحيى بن الحسين بن زيد

بن علي عليهم السلام عَن أبي محمد القاسم بن إبراهيم عليه السلام؟!، فقَال: ((سَيّدُنا وكَبيرُنا، والمنظورإليه مِن أهلِنا، ومَا في زمَاننا هذا أعلم مِنه، ولقَد سمعته يقول: ((قَد قَرأت القرآن والتّوراة والإنجيل والزّبور، ومَا علمي بتأويلهَا دُون عِلمِي بتنزيلِها)) ، ثمّ قَال: لَو سَألتَ أهلَ الأرض مِن عُلماء أهل الَبيت لقَالوا فيه: مثل قَولي، قِيل له: فَأحمد بن عيسى بن زيد؟!. فَقال: أحمد بن عيسى مِن أفضَلِنا، والقَاسِمُ إمَام)) [المصابيح] .

٤- قالَ الإمام النّاصر الأطروش الحسَن بن عَلي بن الحسن بن عَلي بن عُمر بن عَلي بن الحسين بن عَلي بن أبي طالب (٢٣٥-٣٠٤هـ) : ((بَيتَان طَاهِرَان، بَيتي وَبيتُ القَاسِم بن إبرَاهيم عليهم السلام، أمّا بَيتي فَيخرَب، وأمّا بَيتُ القَاسِم، فَيبقَى مَعمُوراً إلى يَوم القِيامَة)) [نهايه التنويه] ، وقال ابن أبي الرّجال : ((وَقَد اشتُهِرَ عَن النّاصِر أنّه كَان يَقُول: ((بَيتان كَبيرَان مَعمُورَان بَيتي وَبيتُ القَاسم بن إبرَاهيم، فأمّا بَيتي فَيخَرَبُ عَلى قُرب، وأمّا بَيت القَاسِم فَيبقَى الدَّهر أو كَما قَال)) [مطلع البدور ومجمع البحور] .

٥- كانَ الإمَام النّاصر الأطروش الحسن بن علي (ع) ، كلمّا ذكرَ القاسم بن إبراهيم ، قال : ((زاهدٌ خَشِن)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] .

٦- وقالَ الإمام النّاصر الأطروش الحسن بن عَلي (ع) ، أيضاً : ((لَو جَازَ أن يُقرَأ شَيءٌ مِنَ الشِّعر في الصَّلاةِ لكَان شِعرُ القَاسِم عَليه السّلام)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] .

٧- قالَ الإمَام أبو العبّاس أحمَد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن دَاود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ، (ت٣٥٣هـ) : ((فَلم يَزل كَذلك عُمره أجمع، صَابراً في الله، داعياً إلى إحياء دِين الله مجتهداً، مَكدوداً متغيباً مِن الظلمة، وهُم يطلبونه ولا يفترون عنه، أعَلمُ رُجُل كَان في زمانه، وأفقَهُهُم، وأزهَدُهُم، وأحلَمُهُم)) [المصابيح] .

٨- قالَ الإمَام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحُسين بن هارون بن الحُسين بن محمّد بن هَارون بن محمّد بن القَاسم بن الحسَن بن زَيد بن الحسَن السّبط بن علي بن أبي طَالب عليهم السّلام ، (ت٤٢٤هـ) : ((كَان نَجم آل الرّسول صلى اللهّ عليه وعلى آله، المبرّز في أصنَاف العُلوم وبَثّها ونشرهَا وإذاعَتها، تَصنيفاً وإجابةً عَن المسائل الورادَة عَليه،

والمتقدّم في الزّهد والخشُونة ولزُوم العبادَة. ومَنْ أحَبّ أن يَعرف تَقدّمه في عِلم الكلام فلينظُر في: (كِتاب الدليل) الذي يَنصر فيه التّوحيد، ويَحكي مَذاهِبَ الفَلاسفة، ويتكلّم عَليهِم، ويَتكلّم في التّراكيب والهيئة، وفي : (كِتاب الرّد على ابن المُقَفّع) ونَقضهِ كلامِه في الانتصَار لما فيه مِن التثنيَة، وفي الكتاب الذي حَكى فيه (مُناظرَتَه للمُلحِد بأرض مِصر)، وفي (كِتاب الرّد على المجبرَة)، وفي (كتَاب تأويل العرش والكُرسي) عَلى المُشبِّهَة، وفي (كتاب النّاسِخ والمنسُوخ)، وفي كلامِه في (فُصول الإمامة) والرّد عَلى مُخالفيّ الزيديّة، وفي (كتاب الرّد على النّصارى) ، ومن أحَبّ أن يَعلم برَاعته في الفِقه ودقّة نَظره في طُرق الاجتهاد، وحُسن غَوصه في انتزاع الفُروع، وترتيب الأخبَار، ومَعرفته باختلاف العُلماء، فَلينظر في أجوبته عَن المسائل التي سُئل عنها، نحو: (مَسائل جَعفر بن محمّد النّيروسي، وعبد اللهّ بن الحسن الكَلاَّري) التي روَاها الناصر للحق الحسن بن علي رضي اللهّ عنه، وكان سَمعها منهما، وفِي (كِتاب الطهارة) ، وفي (كتاب صَلاة اليَوم الليلة) ، وفي (مَسائل علي بن جهشيار)، وهو جَامع (الأجزاء المجمُوعة في تَفسير قوارع القُرآن) عنه عليه السلام، وفي (كِتاب الفَرائض والسّنن) الذي

يَرويه ابنه محمّد عنه، وليتأمل عقودَ المسائل التي عَقدها فيه، وفي (كتاب المناسك) ، وأمّا زُهده عَليه السلام فمّما اتفق عليه المُوافق والمُخالف، ومَنْ أحبّ أن يَعرف طريقته فِيه، فلينظر في كتابه في (سِياسَة النّفس)) [الإفادَة في تاريخ الأئمّة السّادة] .

٩- وقال جمال الدين أحمد بن علي الحسني المعروف بابن عنبَة ، (ت٨٢٨هـ) : ((وأما القاسم الرّسي بن إبراهيم طبَاطبَا، وَيُكنى أبا محمّد وكَان يَنزل جبَل الرَّس، وكَان عَفيفاً زَاهِداً لَه تَصانيف ودَعَا إلى الرّضا مِنْ آل محمّد)) [عمدة الطّالب في أنساب آل أبي طالب] .

١٠- قالَ الإمَام الإمام الحجّة مجد الدّين بن محمد بن منصور بن أحمد بن عبدالله بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن عبدالله بن علي بن صلاح بن علي بن الحسين بن عز الدين بن الحسن بن عَلي بن المؤيّد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد الملقب المهدي بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن محمد بن الإمام القاسم المختار بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن عَلي بن أبي طالب (ع) ، (ت١٤٢٨هـ) : ((وَهذا الإمَام وأخوه الإمَام محمد بن إبراهيم هُما المُجدِّدان في رَأس المائتين)) [التّحف شرح الزّلف] .

١١- وغير ذلكَ من الأقوالُ مشهورٌ مَعلوم في تراجمِ الإمَام نجم آل الرّسول ، اختصاراً نكتفِي بما سبَق .

ماذَا قالَ عُلماء الشّيعة وغيرهم عن الإمَام القاسم بن إبراهيم :

١٢- قال أبو زَيد عِيسى بن محمّد بن أحمَد بن عيسى بن يحيى بن الحُسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قُلت لمحمد بن منصور: ((النَّاس يقولون: إنك لم تستكثر من القاسم عليه السلام. قال: بلى، صَحبته فيما كُنت أقع إليه خمساً وعشرين سنة، فَقُلنا له: إنّك لستَ تُكثر الرواية عَنه، قال: كَأنّكم تَظنون أنّا كُلما أردنَا كَلّمنَاه؟!، مَنْ كان يجسر على ذلك مِنّا؟! ، ولقَد كَان لَه في نفسِه شُغل، كُنت إذا لقيتُه لَقيتُه كأنما أُلْبِسَ حُزْناً)) [الإفادة في تأريخ الأئمة السّادة] ، وفي التّحف شرح الزّلف : ((كأنّما أُلبسَ حُزناً ، لتأسّفه عَلى الملّة، ومَا أُصيب بِه مِن الفِتنة مِن عُلماء السّوء وعُتاة الظّلمَة)) .

١٣- قالَ جعفر بن حرب الهمداني المُعتزليّ (ت٢٣٦هـ) ، وقَد كانَ دخلَ على الإمَام القاسم بن إبراهيم ، فجاراهُ في دقائق الكَلام ، فَلما خَرج مِن عِنده قال لأصحَابه: ((أينَ كُنّا عَن هَذا الرّجل، فَوالله ما رَأيتُ مِثلَه)) [الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة] .

١٤- قال عبد اللهّ بن أحمد بن سَلاَّم رحمه الله، عن نفسه أو عَن أبيه: لَستُ أجسُر عَلى النظر في (كتاب الهجرة) للقَاسم عليه السلام، وأومَى إلى أن ذَلك لما فيه مِن التّخشِين والتّشديد في الزّهد وتَرك الدّنيا والتّباعُد مِن الظّالمين. [الإفادة في تاريخ الأئمة السّادة].

١٥- قال أبو القَاسم البُستي عن الإمَام القاسم (ع) : ((حَبْرُ الأُمّة، وعالم العترة، الفقيهُ المتكلِّم، العالم المبرّز في كلّ علمٍ)) [المراتب في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب] .

١٦- قال الحاكم الجَشميّ : ((هُوَ نَجْمُ آلِ الرَّسُولِ وَفَقِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ الْمُبَرَّزُ فِي أَصْنَافِ الْعُلُومِ وَمَنْ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الزُّهْدِ وَالْعِلْمِ)) [البحر الزخّار] .

١٧- قالَ القاضي الحافظ الحسين بن ناصر ابن المهلا النيسائي الأنصاري الخزرجي ، (ت١١١١هـ) : ((فَهو الجامِع للفَضائل والإمَام الكَامل الذي اعترَف بعلمِه وعَمله الأواخِر والأوائل، وكانَ عَيانه أبلَغ من سماعه ، واختياره أفضل من أخبارِه وما يُرى فيه من الزهد أجل مما يُروى عنه ، ومَا يُعلم فيه مِن العلم أوسع مما يُوصف عنه ، وما يَتحقق فيه من الورع أكمَل مما يضاف إليه، ولو

ادُّعِيَت العِصمة لأحَد بَعد الأنبياء لادُّعِيَت لَه ، ولو جَاءت النبوّة لأحَد بَعد َرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجاءَت له ، ومَنْ جَعله بينه وبين الله فقد نجا)) [مطمح الآمال] .

١٨- وغير ذلكَ من الأقوالُ مشهورٌ مَعلوم في تراجمِ الإمَام نجم آل الرّسول ، اختصاراً نكتفِي بما سبَق .

وفاةُ الإمام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع) :

وتوفّي الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي (ع) في بلاد الرّس مُستقرّاً وذريّته ، سنَة (٢٤٦هـ) ، ولهُ سبعٌ وسبعون عاماً ، وقبرهُ معلومٌ مشهودٌ مَزور وهُو إلى شمال مسجده في مقبرَة جامعَة له ولذريّته الطّاهرَة ، وقد كانَ قبل وفاته بسنَة واحدَة وُلد لابنه الحافظ الحسين بن القاسم ولدٌ فأدخلَه على جدّه الإمام القَاسم ، فَأخذه وَوضعه في حِجرِه المبارك وعَوّذه وبَارك عَليه ودعَا له، ثم قال لأبيه: مَا سَمّيتَه؟!. قَال: يَحيى، وقد كَان للحسين بن القاسم أخٌ لأبيه وأمّه يُسمى يحيى، تُوفّي قبلَ ذَلك. قالَ: فبكَى القَاسم عَليه السّلام ، وقَال: ((هُو والله يحيى صَاحِبُ اليَمن)) [المصابيح] ، وفعلاً كان هُو الإمَام الهادي إلى الحق يحيى بن الحُسين صاحبُ اليَمن من أحيا الله ببركته وعلمِه دعوة العترَة في اليمَن ، فصلواتُ الله على الإمَام نجم آل الرّسول وتُرجمانُهم القاسم بن

إبراهيم صاحبُ العُلوم المجيدَة ، والآثَار الخالدَة المشرّفة ، ومِن كرامَاته عليه السّلام ، أنّه دَعا الله تعالى في شدّة فامتلأ البيت نوراً [التّحف شرح الزّلف] ، نعم! وقبل أن أختم هذه السّيرة المُباركَة لذلك الإمام العَظيم ، أذكرُ ما ذكرَه العلاّمة الشّرفي في اللآلئ المُضيئة من أنّ جماعةً من أهل اليَمن قدمُوا على الإمَام القاسم في الرّس يطلبونَه أن يقدمُ معهم إلى اليَمن ، فاعتذرَ لهُم أنّه قد كَبُر سنّه ، وأرسلَ معَهم ابن محمّد ، وقد كانَ الإمَام محمد بن القَاسم صاحب رحلَة واسعَة في البلاد وطلب جهادٍ وأمرٍ بالمَعروف ونهي عن مُنكَر كوالدِه ، وحذّره الإمَام القاسم من قبائل ذكرَها تُبغض أهل البَيت ، ثمّ لم يستقرّ الأمر للإمَام محمد بن القاسم الرّسي ، واستقرّ بالمدينَة بلاد الرّس ، وعادَت قبائل همدَان إلى المدينة وقد شبّ الإَمام الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحُسين يطلبونَ منه الخُروجَ معه وتعهّدوا له بالسّمع والطّاعة وأن يستنقذَهم من الفسَاد والمُنكَر وأن يُحيي فيهم كتاب الله تعالى وسنّة رسول صَلوات الله عليه وعلى آله ، فأقامَ فيهم الدّين واستقرّت واستتبّت له الأمور وقامَت الأئمّة من بعدِه في اليمن إلى يوم النّاس هذا . أيضاً أذكُر ما أوردَه يحيى بن الحُسين المؤرّخ صاحب المُستطاب من قولِ الإمام محمّد بن القاسم الرّسي ، عن والدِه الإمَام القاسم بن إبراهيم وأنّه قد وصلَ

الشّام والمَغرب ، وأنّه ما أقام ببلاد الرّس إلاّ في آخر مُدّته . أقولُ: ومن ذلك أخمّن وأرجّح أن يكونَ سكنَ الإمَام القاسم وذريّته ببلاد الرّس كانَ سنَة (٢٣٤هـ) ، وعُمره خمسة وستّون سنةً وبعد تولّي المتوكّل العبّاسي فإنّه مشهورٌ عنه عداوته لأهل البيت عليهِم السّلام والتضييق عليهم ، فتكون بهذا مدّة إقامِته في بلاد الرّس اثنتا عشرة سنة .

الفصلُ الثّاني : معماريّة وتأريخ مسجد الإمام القاسم بن إبراهيم

يعودُ تأريخ إنشَاء مَسجد الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي إلى القرن الثّالث الهجريّ ، ولا تُشيرُ المصادر إلى سنةٍ معيّنة لإنشَاء المسجد ، إلاّ أنّ إنشاءه غالباً سيكونُ مع حُلول الإمَام القاسم وذريّته بوادي الفُرع من بلاد الرّس ، لّما كانَت الصّلاة في المساجد أفضَل من الصّلاة في البُيوت ، وليسَ الإمَام القاسم بن إبراهيم ممّن يستأنسُ أو يرضَى حتّى بذلك ، لّما كانَ المسجدُ مُصلّىً جاءت السنّة بتفضيلِه ، ولّما كان المسجد مدرسَة علميّة يعتبرهُا القاسمُ لنفسِه وبنِيه ، وذلكَ يتّضح جليّاً من قولِ ابنه الإمَام محمّد بن القاسم يتكلّم عن والدِه الإمام القَاسم عليهِما السّلام ، قال: ((وَكانَ يَرى الجَمَاعَة للمُوحِّدين المُوافِقِين في الدِّين، والصَّلاةَ مَعَهُم أفضَلُ مِنَ صَلاةِ المنفَرِدِين،..، فَفِي بنَاء هَذه المسَاجِد مِنَ المُوحِّدين لأنفُسِهِم أجرٌ كَبيرٌ وثَوابٌ عَظيم)) [مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القَاسم الرّسي] ، وقالَ أيضاً عن أبيه الإمَام القاسم عليهما السّلام ، أنّه : ((وكان – رَحمة الله عَليه – يَأمُر بالبنَاء للمَساجِد، والصَّلاة فِيهَا)) [مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القَاسم الرّسي] ، فلذلكَ رجّحنَا أنّ تأريخ بناء مسجد الإمَام القاسم بن

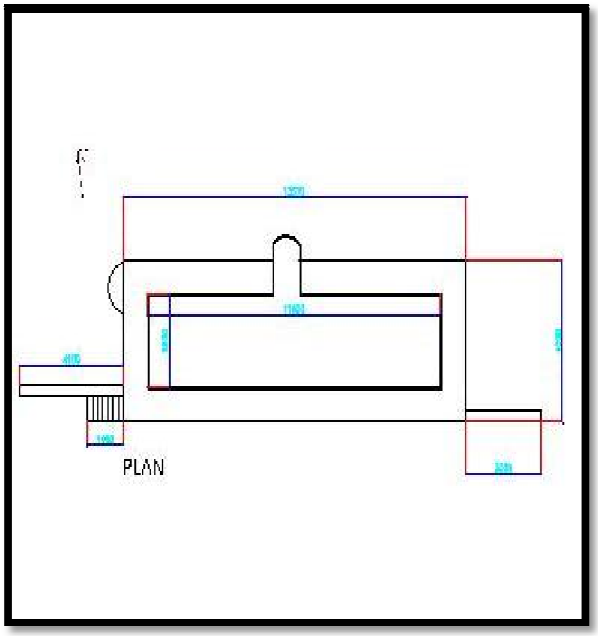
إبراهيم عليه السّلام كان مُزامناً لوقت نزولِه بالرّس من وادي الفُرع ، وذلكَ قد سبقَ تحقيقُه قريباً ، وأنّه تقريباً سنَة (٢٣٤هـ) .



معماريّة المسجد

أوّلاً : المساحَة الإنشائية للمسجد :

- تم إنشَاء المسجد على أرض تُرابيّة ، بمساحَة بناء داخليّة (٣٢م٢) ، ومساحة بناء خارجيّة (٦١م٢) ، وتتضمن المساحة المِحراب ، وتم استخدام الحجَر في بنَاء المسجد بعرض بناء لجدرانه متوسّطه (٨٩سم) ، وذلك موضح على المخطط الإنشائي ، صورة رقم (١) ، والمسجد يحتوي على ثمان نوافذ ، ورفَّين حامِلَين للمصاحف والكتب ، وبابَين .



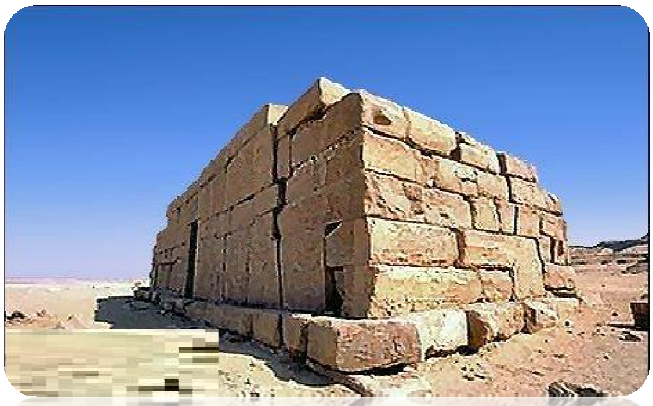
صورة رقم (١)

العنصر	التفاصيل		
المساحة الداخلية	١١.٦٠م×٢.٦٠م	م٢	٣٢
المساحة الخارجية	١٣.٥٧م×٤.٥٠م	م٢	٦١
الأبواب	شمالاً	عدد	٢
النوافذ	جنوباً	عدد	٦
	شمالاً	عدد	٢
الرفوف (الحوامل)	شرقاً	عدد	١
	غرباً	عدد	١
	شمالاً	عدد	١
المحراب	جنوباً	عدد	١
الدرج (يتكون من ٨ درجات)	شرقا	عدد	١
مساحة خارج المسجد غربا كأنها كانت تستخدم مكاناً للوضوء			
مساحة خارج المسجد شرقاً كأنها كانت تستخدم مكاناً لغسل الموتى			

ثانياً: الهيكَل الإنشَائي للمسجد ومَراحل البناء :

١- المرحلَة الأولى : [تفتيت الصّخور وتجهيزها بأحجام منتظمة] :

عادةً يُستخدم في بيوت الحَجر ، إمّا صخور (البازلت) ، وإمّا صخور (الجرانيت) ، والمسجد الذي أسسّه الإمَام القاسم صَلوات الله عليه كان من أحجار (البازلت) ، صورة رقم (٢) .



صورة رقم (٢)

٢- المرحلَة الثانية : [حفر القاعدة للمسجد] :

يتم حفر قاعدَة [خندق] لا تقلّ عن متر واحِد ، وبعرض بناء متوسط للمسجد (٨٩سم) ، وذلك بطول محيط المسجد والمحراب ، ثم يتم ملأ

ذلك اخندق بالأحجار البازلتيّة ثمّ تُدفن بالتّراب ليتخلّلها بحيث تتماسك ، وتُدكّ جيّداً إلى أن تكون بمستوى أرضية المسجد ، وأهميّة تلك القاعدة للمسجد هُو تدعيم جُدران المسجد ومنعها من الهبوط تأثّراً بعوامل التّعرية ، أو سقوط الأمطَار ، وهي ما اصطلحنا على تسميته اليوم بـ (الميدة) .

٣- **المرحلَة الثّالثة : [بناء هَيكَل المسجد]** :

يتم رفع جدران المَسجد بشكل قَائم ، وذلك برصف الأحجار البازلتيّة بعضها فوقف بعض بشكل متقن ، ويتم تخليل الفتحات بين الأحجار بأحجار صغيرة تضمن تماكسها ، وبتربة طينية أيضاً (الخُلْبْ) ، صورة رقم (٣) .



صورة رقم (٣)

٤- المرحلَة الرّابعة : [وَضع الجِباهَة] :

وهي صُخور طويلة وقويّة توضَع في أعلى نوافذ وأبواب ورفوف المسجد بشكل عرضي ، أيضاً تم وضعها بشكل طولي في منتصف النّافذة ، والغرض منها أن تكون قاعدَة ودعامَة لنوافذ المسجد من الأحمال الناتجة من الجدران والحجارة فوقها ، صورة رقم (٤) ، (٥) .



صورة رقم (٤)



صورة رقم (٥)

وفي الأبواب تم عمل الجباهة من جذوع الأشجار ، وسيأتي الكلام عليها قريباً ، صورة (٦) .



صورة رقم (٦)

٥- المرحلَة الخامسَة : [سَقف المسجد (البُطُن)] :

وفي سقف المسجد استخدَم الإمَام القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه جذوع الأشجار ، وغالباً ما تُستخدم جذوع أشجار العرعر في سقف البيوت الحجريّة ، ويتم توزيعها بشكل متقارب جداً على سقف المسجد ، صورة رقم (٧) ، (٨) .



صورة رقم (٧)



صورة رقم (٨)

٦- المرحلَة السادسَة : [صبّ طينَة السّقف] :

وبعد الانتهاء من صفّ جذوع الشّجر بشكل جيّد ، يتم تجهيز الطّين وخلطه بالمَاء ، ليكون أهسل في عملية الالتصاق والتماسك مع جذوع الشّجر ، صورة رقم (٩) .



صورة رقم (٩)

رابعاً: الصّور المعماريّة ، ومحتويات وأجزَاء المسجد :



صورة رقم (١٠)



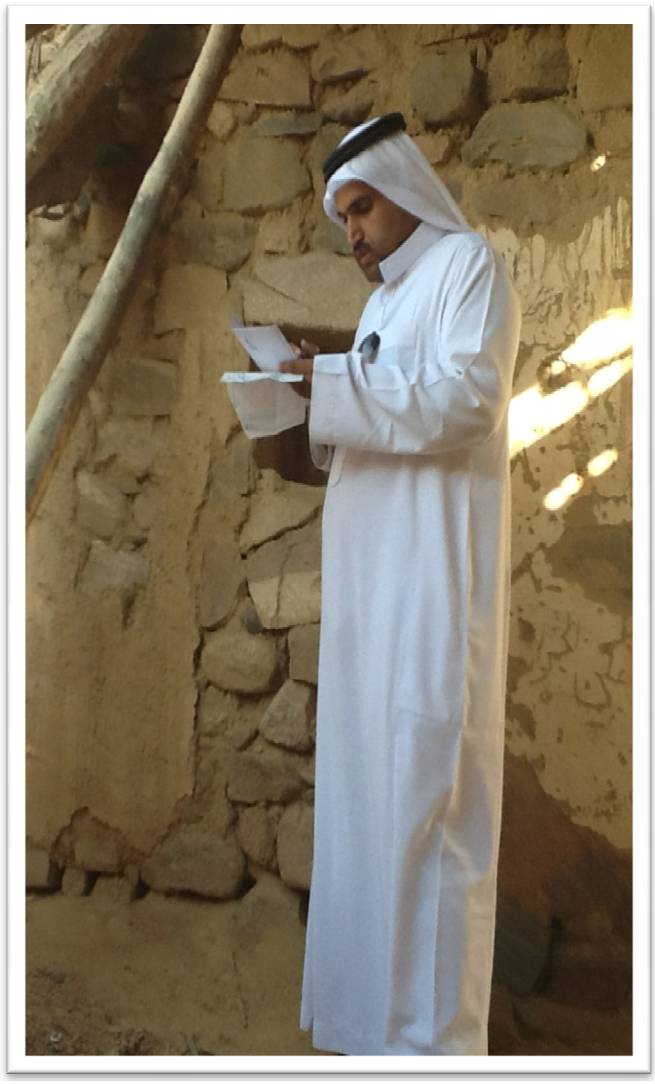
صورة رقم (١١)



صورة رقم (١٢)



صورة رقم (١٣)



صورة رقم (١٤)



صورة رقم (١٥)



صورة رقم (١٦)



صورة رقم (١٧)



صورة رقم (١٨)



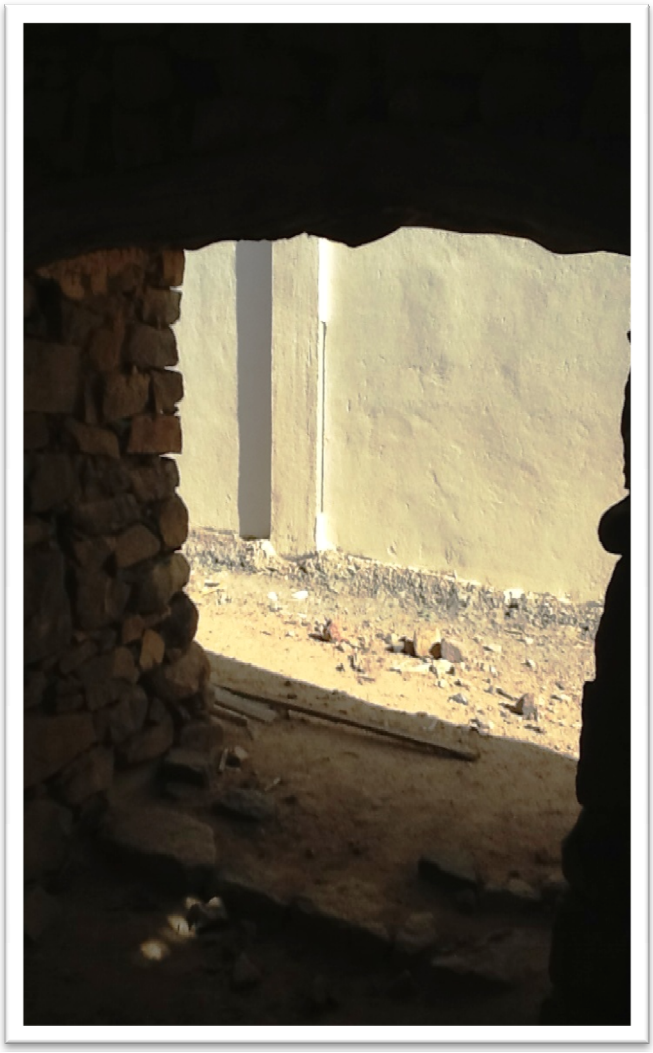
صورة رقم (١٩)



صورة رقم (٢٠)



صورة رقم (٢١)



صورة رقم (٢٢)



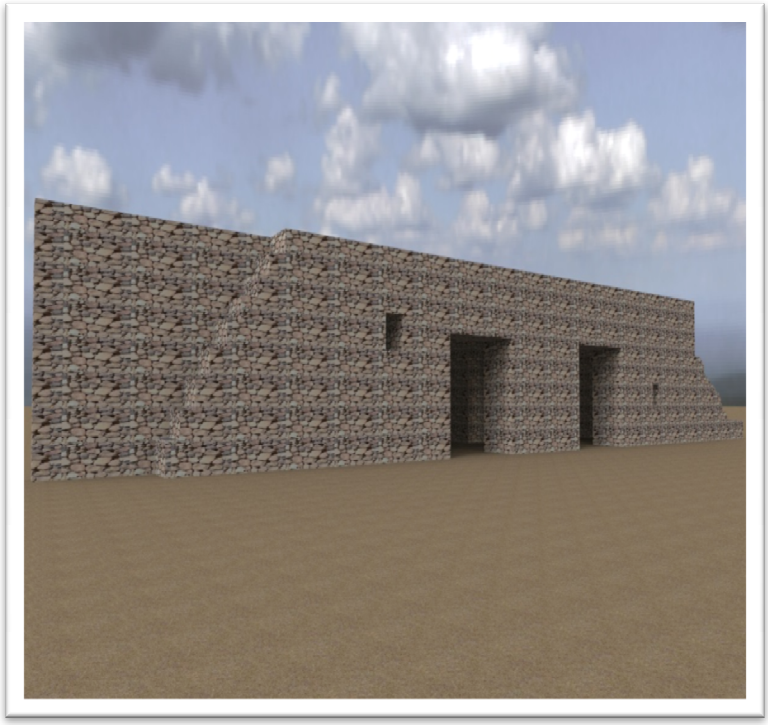
صورة رقم (٢٣)



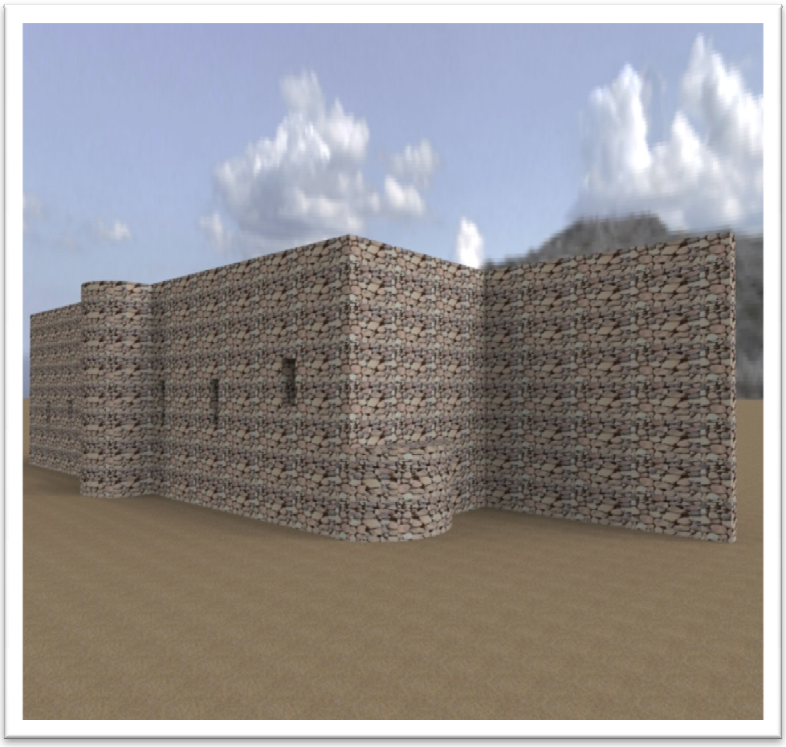
صورة رقم (٢٤)



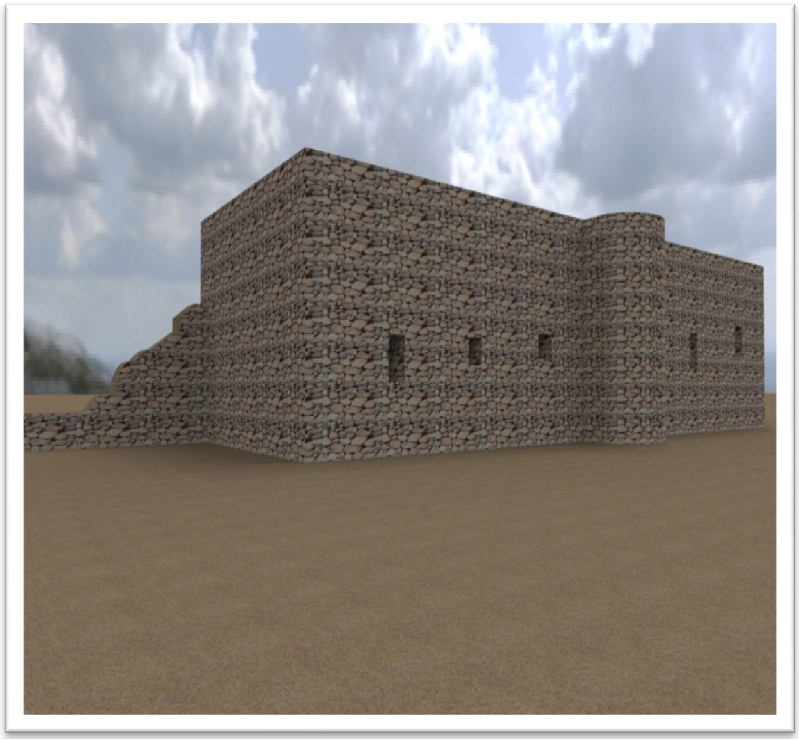
صورة رقم (٢٥)



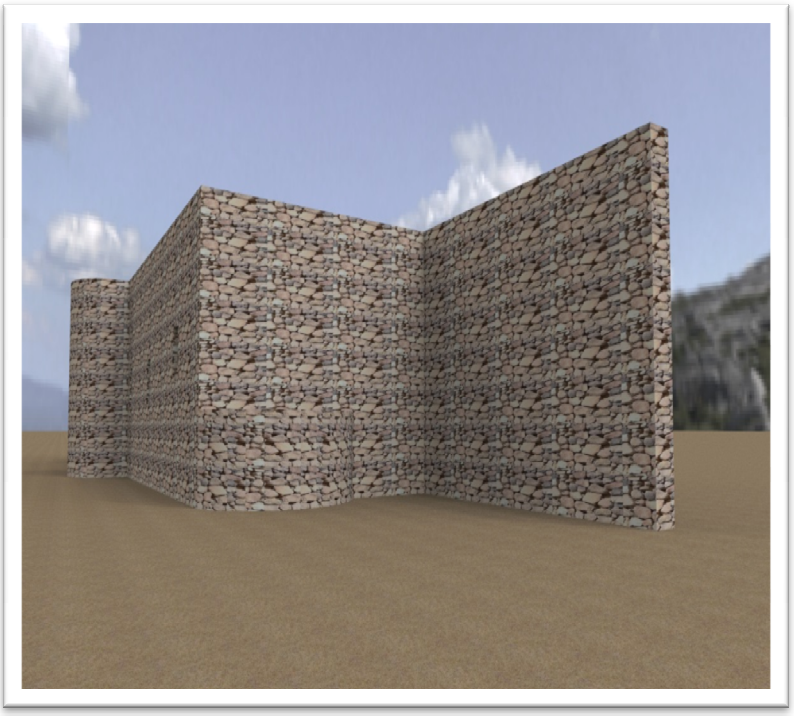
صورة رقم (٢٦)



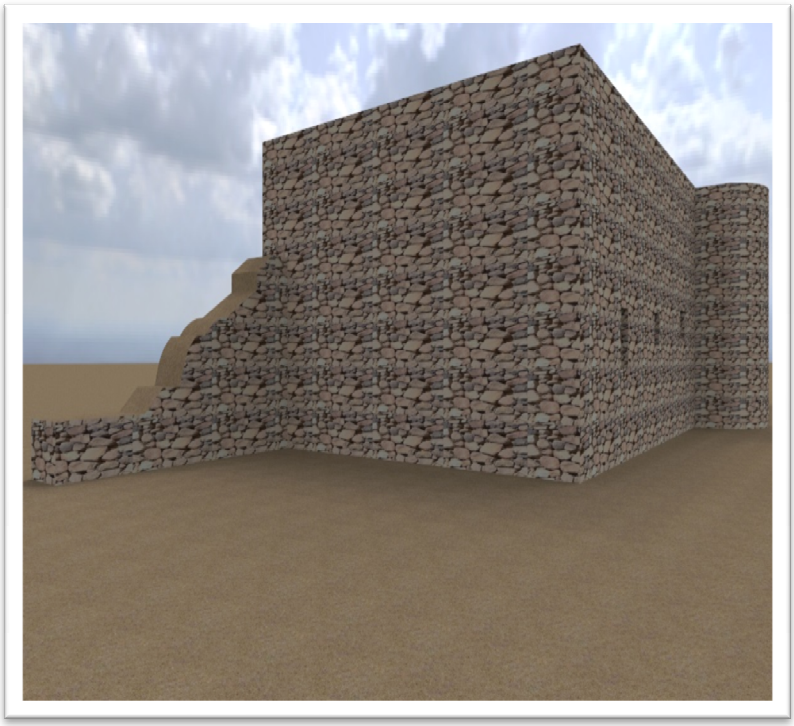
صورة رقم (٢٧)



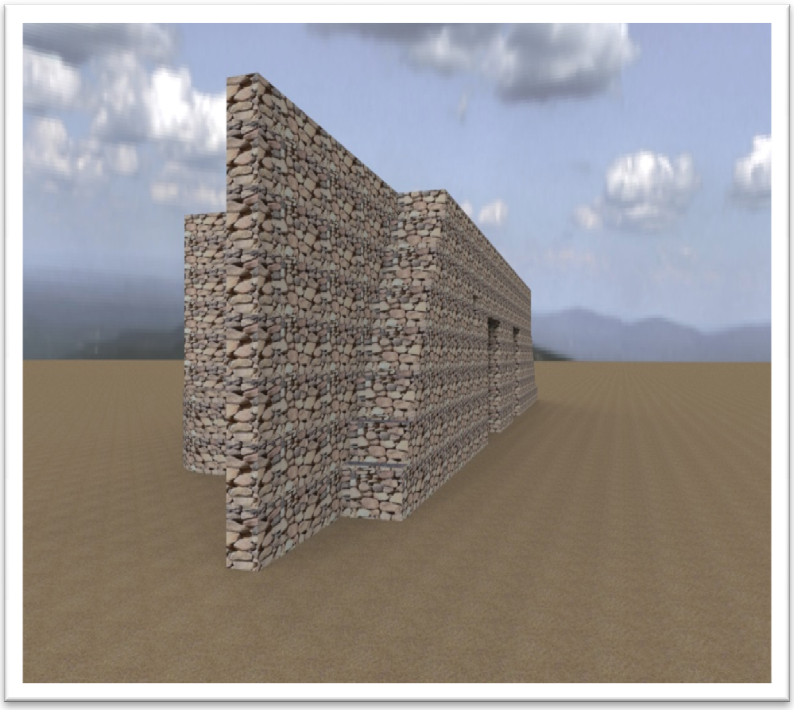
صورة رقم (٢٨)



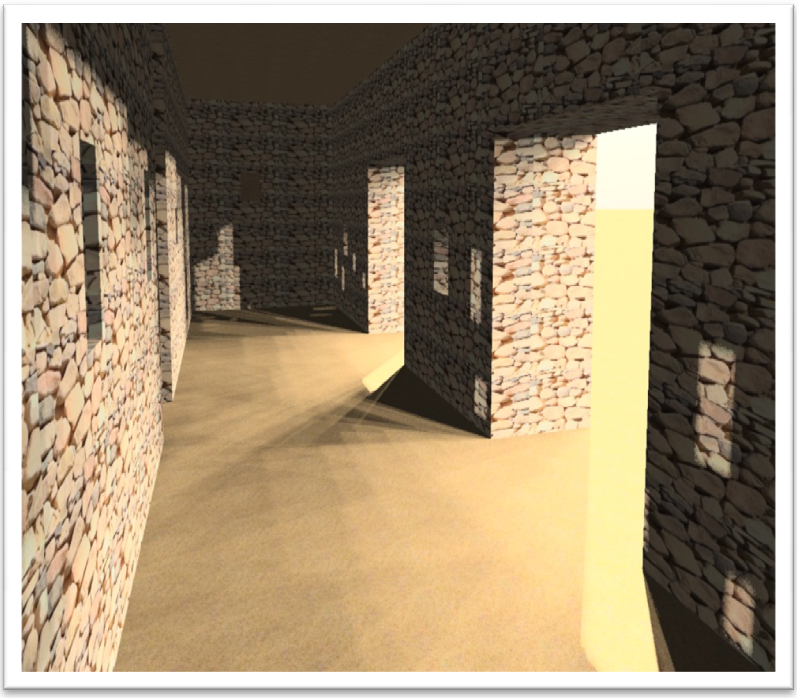
صورة رقم (٢٩)



صورة رقم (٣٠)



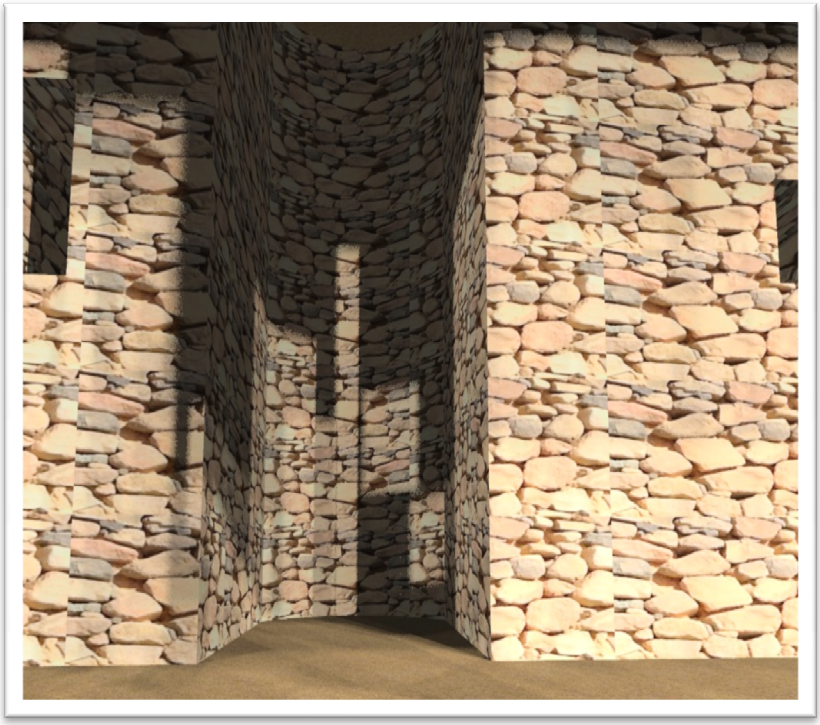
صورة رقم (٣١)



صورة رقم (٣٢)



صورة رقم (٣٣)



صورة رقم (٣٤)



صورة رقم (٣٥)

صورة حجر من مسجد الرس نقشَ عليه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ـ نسبه ، وعقيدته . المصدر/ مركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث

نص نقش الإمام الهادي إلى الحق عليه السّلام

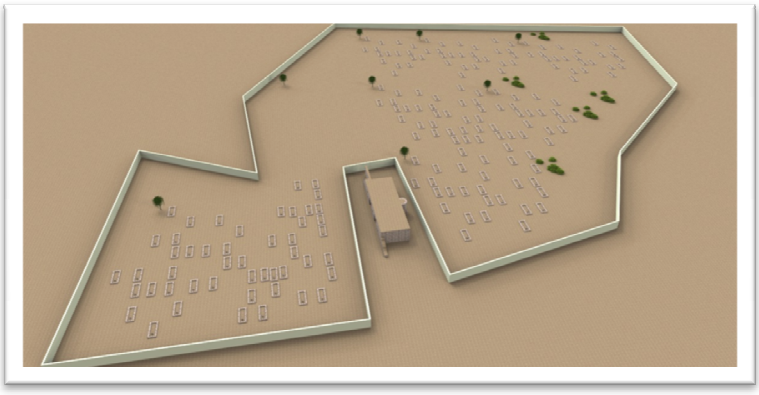
بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وعلى أهل بيت الطيبين الأخيار ويشهد يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أهله وسلم وأن علي بن أبي طالب أخو رسوله وولي الأمر من بعده وأولى الناس بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم [....] وأن الساعة لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وعلى ذلك أحيا وعلى ذلك أموت وأشهد أنه لا مثيل له. ولا شبيه ولا حد ولا نضير وأنه بريء من أفعال العباد. ومتعالي عن القضاء بالفساد صادق الوعد والوعيد ويسأل الله أن يرزقه جهادا في سبيله ومعاداة لأعدائه وموالاة لأوليائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بكتابه والاتباع لسنة نبيه وإحياء الحق وإمانة المنكر والنصر لرد الظالمين والشدة على الكافرين والرحمة للمؤمنين .

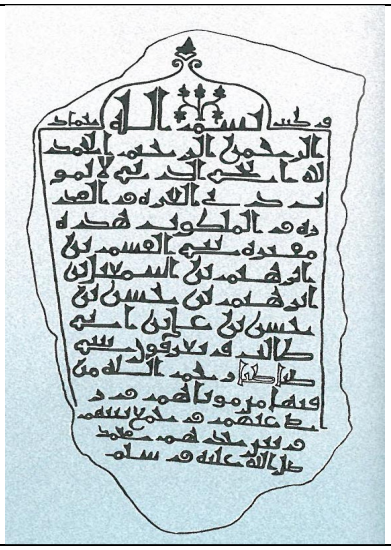
رحم الله من كتب هذا (آمين)

وفي مقبرَة الأشراف ذريّة الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي ، يقف الزّائر على قبر الإمَام نجم آل الرّسول وهُو عن شمال المسجد ، وقد أحيطَ بالمقبرَة سور من الشّبك الزّراعي ، ثمّ بُني بالبلك المُصمت . نعم! وقَد كُنت وقفتُ على شاهد تأريخي كأنّه وضع كحجَر تأسيس لمقبرة الأشراف آل الرّسي ، ولم أقِف على مصدره ، وهُو صورة وقفتُ عليها من كتاب رُقِمَ عليه (المصدر:م٥٦٦) ، صورة رقم (٣٧) .



صورة مطابقة لواقع حدود المقبرة ، وتقريبية للقبور ليست مُطابقة للواقع تماماً

صورة رقم (٣٦)





ترجمة النص :

وكتب بسم الله حماد الرحمن الرحيم الحمد لله الحي الذي لا يموت ذي العزة والقدرة والملكوت هذه مقبرة بني القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ويعرفون ببني طباطبا رحم الله من فيها من موتاهم ورضي عنهم وجمع بينهم وبين جدهم محمد صلى الله عليه وسلم

صورة رقم (٣٧)

نعَم! وقد سلّمني سيّدي العلاّمة الحجّة عبدالرّحمن بن حسين شايم حفظهُ الله تعالى في مسجدِه المَعمور بذكر الله مَسجد الفَتح بالحاربَة من أعمَال صعدَة ورقةً فيها تحقيقُ أصحاب تلك القبور وتحديد بَعض مواقعهَا ، كُتبَ فيها : ((بسم الله ، فائدة في ذِكر مَن بمشهد الرّس ، نُقلت من خط من نوثق به ، وجدَ في بعض كتب القاضي العلاّمة مليك العُلماء فخر الدّين عبدالله بن حسن الدوَّاري في معرفَة مَنْ بمشهد ترجمان الدّين القاسم بن إبراهيم الرّسي عليه السّلام ، قال بعدَ ذِكر وفاته ، وقبرُه ليسَ بينَه وبينَ القِبلَة شيء .

- وقبرُ ولده محمّد بن القَاسم ممّا يليه إلى جهَة المشرق ، رأسُه عند رجلَي أبيه ، ولم يعرف تأريخه .

- وقبرُ ولده الحسين بن القاسم ممّا يلي قبر أبيه وأخيه إلى جهَة الشّام ، توفي سنة (٢٧٩هـ) ، والصّحيح سنة (٢٦٩هـ) .

- وقبرُ السيّد أحمد بن القاسم بن محمّد بن القاسم بن إبراهيم ، توفي سنة (٣٢٥هـ) .

- وقبرُ أخيه الحسين بن القَاسم بن محمّد بن القاسم بن إبراهيم ، توفّي سنة (٣٣٣هـ) .

- وقبرُ علي بن بن عبدالله بن محمّد بن القاسم العياني ، وهو والد الإمام القَاسم العياني ، توفّي في محرّم سنة (٣٠٥هـ) .

- وقبرُ جعفر بن أحمد بن القاسم بن محمد بن القَاسم بن محمّد بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم .

- وقبرُ عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم .

- وفي سَمته ذكر ولد إدريس ضريحه .

- ومن نسائهم ، قبرُ أم إبراهيم بن الحسين بن القاسم .

- وقبرُ أمّ كلثوم بنت الحسن بن القاسم .

- وقبرُ أسماء بنت جعفر بن عبدالله بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طَالب .

- وقبرُ صفيّة بنت موسى من أولاد محمد بن جعفر بن أبي طَالب .

- وقبرُ أسماء بنت القاسم .

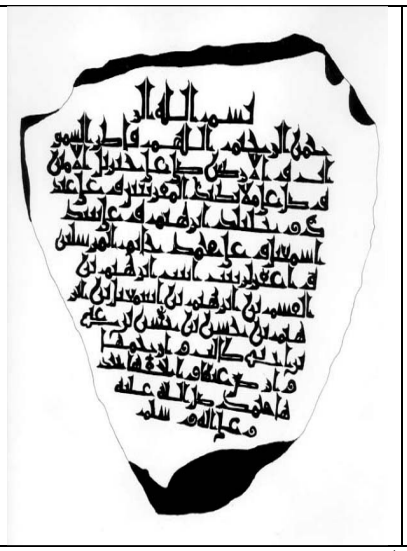
- وزينبُ بنت الحسين بن القاسم .

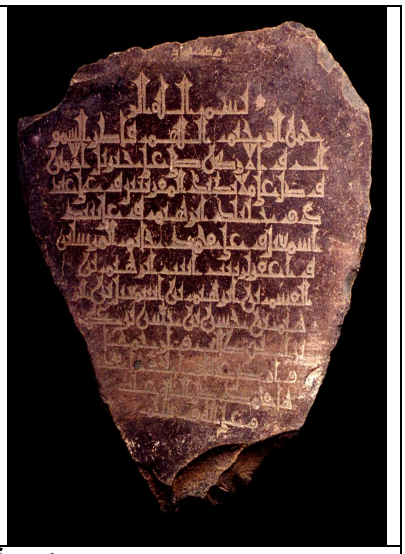
قال الإمَام المهدي لدين الله علي بن محمّد : هذا الذي عرفناه من المكتوب على قبورهِم ، ومنهُم مكتوبٌ عَليه ولم نعرفهُ لدروسه وانغماره بالتّراب ، وكثيرٌ غير مكتوب عَليه ، وفي قبلَة المَشهد خطّ الإمام الهادي يحيى بن الحسين منقوشٌ على حجَر. اهـ)) ، انتهى .

قلتُ : وقد وقفتُ أيضاً على عدّة شواهِد لذريّة الإمَام القاسم بن إبراهيم ، ولم أستطِع تحديد مصادرهَا ، رغمَ اجتهادِي في ذلك ، منهَا :

-قبرُ زينب بنت إبراهيم بن القَاسم بن إبراهيم ، صورة رقم (٣٨) .

- قبرُ رقية بنت القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ، صورة رقم (٣٩) .

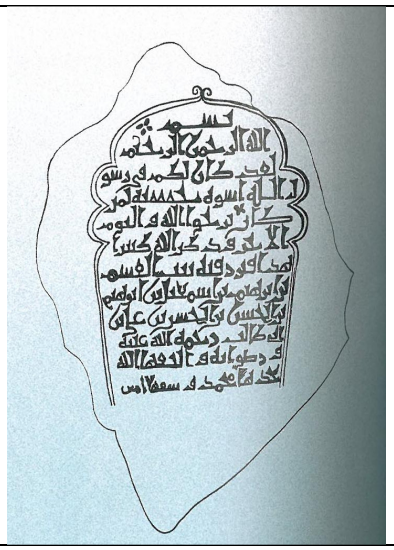


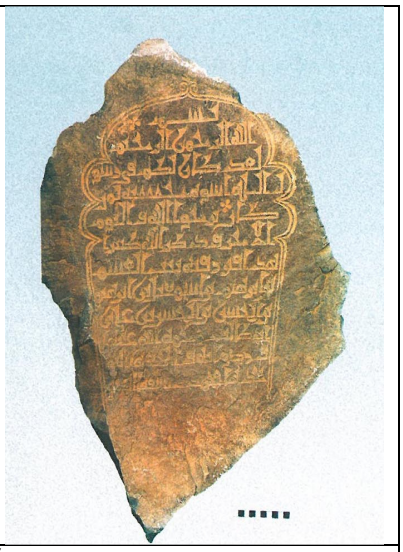


ترجمة النص :

بسم الله الرحمن الرحمن
الله فاطر السموات والأرض
صلي على جبريل الأمين
وصلي على ملائكتك المقربين
وعلى عبدك وخليلك إبراهيم
وعلى نبيك اسماعيل
وعلى محمد خاتم المرسلين
واغفر لزينب ابنت إبراهيم بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب
وارحمها وارض عنها والحقها بجدها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم

صورة رقم (٣٨)





ترجمة النص :

بسم الله الرحمن الرحمن لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا هذا قبر رقية بنت القسم بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليها ورضوانه وألحقها الله بجدها محمد وسلفها آمين .

*** جاء في موضع النقل ، المصدر م ١٠٩ ، ورد هذا النقش في دراسة عبدالرحمن الزهراني ، (كتابات إسلامية من مكة المكرمة) ص ص:١٤٤-١٤٦ ، لوحة (٢٣ أ-ب) ، ص ٥١٧.**

صورة رقم (٣٨)

نعم! وبهذا الفَصل الثّالث ، وما سبقَ ، نختمُ كلامَنا في هذا المَبحث حول مسجد الإمَام القاسم بن إبراهيم الرّسي صَلوات الله عَليه ، سيرًة وتأريخاً ، وعمارةً ، ومَشْهداً ، الله نسأل أن يحشرَنا والقارئ الكَريم في زُمرَة هذا الإمَام وجدّه الأعظَم سيّدنا محمّد وأهل بيتِهم الطّيبين الطّاهرين ، وأن يجزيَهم عنّا خير الجَزاء ، وأختمُ بذكر مراجِع هذا البَحث ، وذلكَ أمانَة ، ثمّ بالصّلاة على سيّدنا محمّد وعلى أهل بيتِه الطّيبين الطّاهرين .

وكتبه / المُفتقر إلى عفو الله ومغفرتِه الشرّيف أبو الحسن فهد بن حسن بن عبدالله شايم المؤيّدي الرّسي الحسنيّ ، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين ، آمين. يوم الأحد الموافق ٦/ ٩/ ١٤٣٤هـ .

المصَادر :

- الإفادة في تأريخ الأئمّة السّادة ، للإمام النّاطق بالحقّ يحيى بن الحسين الهارونيّ (ع) .

- المصابيح في السّيرة ، للإمام أبي العبّاس أحمد بن إبراهيم الحسنيّ (ع) .

- التّحف شرح الزّلف ، للإمَام مجد الدّين بن محمّد بن منصور المؤيّدي (ع).

- مجموع كتب ورسائل الإمَام محمّد بن القاسم الرّسي (ع) .

- مطلع البدور ومجمع البحور ، للعلاّمة المؤرّخ أحمد ابن أبي الرّجال .

- تاريخ أئمّة أهل البيت الزيديّة خارج اليمن ، عبّاس محمّد زيد .

- عمدَة الطّالب في أنساب آل أبي طَالب ، جمال الدّين ابن عنبَة .

- المراتب في فضائل أمير المُؤمنين عَلي بن أبي طالب ، لأبي القاسم البستي .

- اللآلئ المُضيئة ، للعلامة أحمد بن محمد الشّرفي .

- المُستطاب ، للمؤرّخ يحيى بن الحسين .

- مركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث .

- صور الكترونيّة للشّواهد لم أقف على مصادرها .